

إلى من قد لا ألتقيه

رواية

الدكتورة

دانة أحمد الجدع



ISBN 978-9957-05-203-4

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

 	دَارُ الضِّيَاءِ لِلنَّشْرِ وَالنَّوْجِ عمان - الأردن صندوق بريد : ٩٢٥٧٩٨ - الرمز : ١١١٩٠ هاتف وفاكس : ٥٦٧٨٥٠٢ ٦ ٠٠٩٦٢ البريد الإلكتروني : info@daraldia.com الموقع على الإنترنت : www.daraldia.com
---	---

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٢٠٠٩/١٠/٤٤٤٤

٨١٣,٩

الجدع ، دانة

إلى من قد لا التقي به / دانة أحمد الجдец _ عمان : دار الضياء ، ٢٠٠٩ (٢٩٦ ص).

ر.إ. (٢٠٠٩/١٠/٤٤٤٤).

الواصفات : // الروايات العربية // العصر الحديث /

■ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

جميع الحقوق محفوظة

■ ١٤٣٢ هـ | ٢٠١١ م ■

أنس أحمد الجдец
دانة أحمد الجдец

تصميم الغلاف
رسمة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في
السماء وهو العلي العظيم
باسم الله الذي لا إله إلا هو، له الأسماء الحسنى
باسم الله غافر الذنب، وقابل التوب
باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله

الكاتبة

الدكتورة دانة أحمد الجدع، طبيبة، تخرجت من كلية الطب عام ٢٠٠٨، وتعمل في المستشفى الإسلامي في عمان.

كتبت روايتين: "الخامسة مساء الجمعة" ٢٠٠٨، "أمل في القمر" ٢٠٠٨، وقد بدأت كتابة هذه الرواية في شهر مارس ٢٠٠٩. أحمد الله الذي وفقني للكتابة، فهو فن فريد من نوعه، وفيه سحر لا يوازيه سحر.

تنوعت رواياتي، فالأولى كانت رواية اجتماعية من ألف وستمئة صفحة، أما الثانية فقد كانت رواية يسودها الغموض من مئة وخمسين صفحة، وهذه الرواية تعرض صوراً من حياة غير المسلمين، وتظهر بعضاً من معتقداتهم وآرائهم.

ولزيد من المعلومات، يمكنكم زيارة الموقع الشخصي للكاتبة:

www.dr-danajada.com

وللتواصل يمكنكم أن تبعثوا الرسائل على البريد الإلكتروني:

Danajada84@yahoo.com

وشكراً جزيلاً على الدعم والمتابعة.

الدكتورة

دانة أحمد الجدع

الإهداء

أهدي روايتي الثالثة إلى والديّ العزيزين، اللذين تعبوا
كثيراً لتهيئ الأجرء المناسبة للكتابة والدراسة وكل إبداع.
ثم أهدي الرواية أيضاً إلى صديقتي وأختي المهندسة ديانا
العبادي، مع تمنياتي لها بكل توفيق ونجاح.
كما أقدم الرواية إلى كل إنسان يجتهد في البحث عن
الحقيقة.



التقديم

استيقظت على فراش لم يكن فراشي ... في غرفة لم تكن
غرفتي... في منزل لم يكن منزلي !
سرت في طريق بمدينة لم تكن مدينتي ... في دولة لم تكن
دولتي !
كل الأشياء غريبة ... كل الوجوه جديدة ! هل تراهم يعلمون
أنني غريب ؟
كل العيون تتجه صوبي ! هل هو وهم أتصوره أم أنني مريب ؟
إلى أين أذهب ؟
وماذا أفعل ؟



الجزء الأول

■ الفصل الأول

كنت أكيداً من حقيقة وحيدة، هي الألم في صدري، يتزايد مع
أنفاسي فأحبسها، ليس لأنني لا أذكر السبب، ولكنه كان ما قادني إلى
هنا، كان السبب في التغيير الكبير الذي اضطررت للخضوع له.
ربما أكون محظوظاً في نظر الكثيرين، ربما فعلاً أكون محظوظاً
بفرصة جديدة للحياة، ولكن... مالي وحياة لا أعرف ماذا أفعل بها؟
ربما هو الوقت... أحتاج لبعض الوقت... الوقت...



الفصل الثاني

استيقظت أسمع طرقاتاً على الباب، فتحت عيني فإذا بها قد دخلت تقول "صباح الخير، هل نمت جيداً؟"

إنها في الستين، هل هي بعمر أُمي أم جدتي؟ ترتدي ثياباً بسيطة، ربما كانت تنظف المطبخ بها. تربط شعرها وكأنها لم تستغرق في ذلك ثوان، تبدو التجاعيد واضحة على وجهها الذي لا يبدو أن مسحوقاً قد لامسه منذ سنوات! مع كل ذلك كان صوتها رقيقاً، ناعماً، وهادئاً.

رفعت رأسي أحاول ألا أنظر تجاهها، وبما أنني لم أنطق بأي كلمة قررت أن تتابع "الفطار جاهز"

مسحتُ على شعري أحاول أن أشغل نفسي بأي شيء سوى النظر إليها، وضعت قدمي على الأرض ما أزال أجلس على الفراش، هل تنوي أن تظل في الغرفة مدة طويلة؟

يبدو أنها شعرت بما أفكر فيه، فقالت "نحن ننتظرك في المطبخ"

وأغلقت الباب وراءها.

المطبخ! وتسمى الغرفة المنزوية ببضعة خزائن وأكواب مطبخاً!



وقفت أمام المرأة، لم تكن الغرفة تتجاوز الثلاثة أمتار، فيها سرير ومكتب وخزانة، في الخزانة بعض الثياب التي لم ارتدها مرة واحدة، ولا أظن أنني سأفعل.

كان علي أن أخرج من الغرفة إلى الممر حتى أغسل وجهي في حمام لا أستطيع أن أخطو فيه أكثر من خطوتين.

في نهاية الممر غرفة مغلقة، وفي بدايته صالة تحوي ما يسميانه مطبخاً وغرفة الجلوس! كلاهما قد لا يتسعان لخمسـة أشخاص.

كانا جالسين حول الطاولة، والطعام أمامهما، أطباق صغيرة فيها بعض المعجنات التي أعلم أنها قد عجنتها بنفسها البارحة، والقليل من القهوة.

نظر إلي زوجها، أظن أنه في أواخر السبعين، نحيل وما يزال الشعر الأبيض على رأسه كثيفاً. يرتدي قميصاً منزلياً، أظن أنه ينوي الخروج به إلى العمل.

العمل! لا أدري ماذا يعمل، بل لم أفكر بذلك من قبل، إنه يخرج صباحاً، ويعود في وقت الظهيرة. لا يبدو أن العمل يدر عليه الكثير من النقود.

اقتربت من الطاولة التي كان يخيم عليها الأسي، أليس هذا هو ما أشعر به أيضاً، فلماذا لا أريد الجلوس؟ لماذا لا أريد الاقتراب؟ لماذا اقتربت تجاه الباب وخرجت دون أن أنطق بأية كلمة؟

الفصل الثالث

من أنا؟... أدعى آدم، سأبلغ الثالثة والعشرين من العمر بعد يومين، أرتاد أفضل جامعة في المنطقة، أدرس فيها الأدب العالمي، الذي حصلت فيه على الكثير من شهادات التقدير.

صاحب حزام أسود في الكاراتيه، والحاصل على كأس نوادي القارات لثلاث سنوات متتالية.

أحد قراصنة الحاسوب، ولم يلحظ أحدهم ذلك إلا مؤخراً.
والآن لست أملك في جيبي أكثر مما يمكنني من شراء وجبة غداء في مطعم ثلاثة نجوم!

جلست في منتزه صغير إلى جانب الطريق، هناك بائع على الزاوية، يبدو أنه يملك بعض المثلجات.

جلست أتناول المثلجات، ليس من الممتع أن تحسب النقود المتبقية وتفكر بما ستفعله بها إلى آخر اليوم، بل هل ستكفي ذلك الوقت؟

من المفترض أن أكون في الجامعة، ولكنني تغيبت، إنه اليوم السابع على التوالي، هل فصلت يا ترى؟

الفصل الرابع

كنت قد دخلت في قيلولة خفيفة عندما شعرت بيد قد طالت جيبتي، فتحت عيني فإذا بثلاثة شبان كانوا قد سحبوا ما تبقى لي من النقود.

استوقفتهم قائلاً "أعيدوا النقود" كانت لهجتي بليدة، بل لم أكن أصدق أنني أفعل ذلك من أجل مبلغ خسيس لا يستحق العناء! ضحك الشبان وفي عيونهم رغبة شديدة في العراك، ولكنهم اختاروا المنافس الخطأ، فقد اقتربوا، والتفوا حولي، وحاولوا إخافتي ببعض الكلمات مثل "من تظن نفسك؟" "هل كنت تنوي شرب الحليب بهذه النقود؟" "يبدو أنك لا تصلح لشيء..."

ووقعوا في المشكلة، وانقلبت الدائرة عليهم عندما اكتشفوا من حركات بسيطة أنني ضليع في الكاراتيه، وأنهم ليسوا سوى شباب ضائع، يحاول إثارة المشاكل.

تابعت العراك بكل براعة، ونسيت الألم في صدري إلى أن اضطررت لرفع يدي اليمنى عالياً أدفع بها أحدهم، فشعرت بألم شديد، جعلني أتراجع قليلاً، ولكن القتال كان كافياً لإخافتهم في هذه المرحلة، فقاموا برمي النقود على الأرض وغادروا المكان.

نظرت إلى نقودي وقد اتسخت بالغبار، انحنيت آسفاً لألتقطها،
لا أصدق أنني أنحني لهذا القدر من المال!
عدت إلى المنزل، ولم أكن قد أنفقت من نقودي المتبقية شيئاً،
بقيت بلا غداء أو عشاء، وعدت في ساعة متأخرة بعد التسكع هنا
وهناك، ثم دخلت إلى غرفتي متجاهلاً الأسئلة التي وُجّهت نحوي
"أين كنت في هذا الوقت المتأخر؟" "هل تناولت طعاماً؟"



الفصل الخامس

استيقظت في صباح اليوم التالي ، هذه المرة لم يوقظني أحدهم ،
كان الوقت متأخراً !

نهضت من الفراش ، وكنت ما أزال أرتدي ذات الثياب ، غسلت
وجهي ، واتجهت صوب الباب.

لقد كان في المطبخ ، يحتسي القهوة ويقرأ الجريدة ، لم ينطق
أحدنا بكلمة إلى أن أمسكت مقبض الباب لأفثحه فوجدته مقفلاً !
والمفتاح لم يكن على القفل.

التفت إليه ، وبدون مقدمات ولا تسليمات قلت "أين المفتاح؟"
أنزل الجريدة من بين يديه ، واحتسى آخر ما تبقى في فنجان
القهوة ، ثم نظر إلي وقال "أنت لا تذهب إلى الجامعة"

كنت أعلم أنهم سيعلمون ذلك عاجلاً أم آجلاً ، ولكنني لا أخفي
أن قلبي قد رف لحظتها ، وقلت منزعجاً "هل تقومان بمراقبتي؟"

وضع ذراعه على الطاولة وقاطع أصابع يديه أمام وجهه يحدق
بي ، ثم قال "لقد اتصل أحد المحاضرين ، يسأل إذا ما كنت انتقلت إلى
الجامعة أم لا"

ارتكزت على باب المنزل ، ولم أعد أنظر إليه ، أشحت بوجهي

إلى زاوية على الأرض، لا أرغب في الحديث في أي شيء، ولكنه حرك
الكرسي الذي كان إلى جانبه وقال "اجلس"

لم أتحرك، كنت أتمنى أن يكون هناك شيء أمامي لأقوم بركله
لأكسره، ولكنه ظل صامتاً، يحدق بي بنظرات المتهم! لم أعد أحتمل
ذلك، صرخت قائلاً "لماذا رضيتم ببقائي هنا إذا لم تكونوا ترغبون
بذلك؟"

قال "لم يكن ذلك خيارنا"
ابتسمت بسخرية، ما أزال أحدق في الأرض، فقال "وليست لدي
النية في أن أندم على ذلك"
هنا نظرت إليه، إنه يبدو كئيباً جداً، لست أدري إذا كان ذلك
يرهقني أكثر، بماذا يفكر؟
ثم حضرت، دخلت من الممر تقول "هون عليه، الأمر ليس
سهلاً"

فقال "لقد هونت عليه الأسبوع كاملاً، فماذا فعل؟"
قالت "حتى وإن لم يفعل شيئاً، فلا داعي لمواجهة هكذا"
"أنت تفسدين الأمر بأسلوبك هذا"
"أفسده! لماذا لست سعيداً به؟"
"لا نريد الحديث في هذا الأمر"

”وماذا نفعل الآن إذن؟“

كان علي الاستماع إلى حديث لا يعنيني! بل بدأ صوتهما يعلو
بالشجار! أين أنا؟ ولماذا اختير لي أن أكون هنا؟ ألم يجدوا غير هذه
العائلة السيئة، أم أن هذا عقابي على ما فعلت؟

هذا مزعج، سرت لأدخل غرفتي لأغلق الباب على نفسي وأنهى
الأمر، ولكنه نهض عندما تحركت، وصرخ قائلاً ”أنا لم أنه الحديث
معك!“

توقفت، نظرت وهلة في عيونه فتذكرت عيون والدي، غاضبتان
غائرتان! إنهما يحملان شراً لا أطيعه! لم أعد أستطيع الحراك، ربما
بدأت أرتجف! هذه العيون... لا أطيعها...



الفصل السادس

فتحت عيني، فإذا بي في المشفى! وهناك مغدّ في يدي. يبدو أنني قد فقدت وعيي.

ماذا جرى؟ لست أذكر شيئاً! صراخ... شجار... دموع... وعيون! اختلطت كلها في ذاكرتي.

إنها تجلس إلى جانبي، في عينيها أسى كبير، نظرت إلي وقد كنت أنظر إليها، فقالت "هل أنت بخير؟"

سألتها: كم هي الساعة، فأجابت "التاسعة والرّبع"

سألتها: في أي يوم نحن؟ تعجبت لسؤالي ولكنها قالت مؤكدة "إنه الأحد، الثاني والعشرون من الشهر الثاني"

"عام؟"

"آدم! إنه العام ألفان وتسعة! لم تفقد وعيك أكثر من ربع ساعة!"

أغمضت عيني، وأخذت نفساً عميقاً، عندها دخلت الممرضة تطمئن على صحتي، وتقيس لي الضغط، لست أدري كم مرة فعلت ذلك قبل الآن.

قالت "إن ضغطك جيد، يبدو أن أمورك مطمئنة تماماً، سيحضر الطبيب ليطمئن عليك حالاً"

ولكنني قلت لها "كلا، لا أريد رؤية الطبيب، أخبريه أنني بخير"
تعجبت المريضة من طلبي هذا "الجميع ينتظر بالعادة نصيحة
الطبيب بشكل مباشر، لماذا لا تريد أن تراه؟"
لم أنطق بأية كلمة، بدأت أنظر في الغرفة حولي، رفعت رأسي
عن الفراش حيث بات وضعي مستقراً، ونظرت إلى النافذة، في هذه
اللحظة دخل الطبيب.

هي لمحة التي نظرتُ إليه فيها، ومن حينها بقيت عيني
تنظران إلى الفراش حيث أضمت يدي إلى بعضهما بارتباك.
ألقي التحية واقترب مني، ولم أرفع عيني، جلس على الفراش
إلى جانبي، حيث يظن أن في جلسته هذه يكون قد اقترب مني،
ولكنني قلت فوراً "لا تجلس"

تصرف الطبيب بحكمة ورزانة، ونهض عن الفراش دون
تعليق، ثم قال "أرى أنك على ما يرام"
لم أنطق بأي كلمة، بل لم أنظر إليه على الإطلاق، فتنهد
الطبيب وقال "كل ما أحataجه بعض الأسئلة البسيطة، التي لم يستطيعا
الإجابة عنها"

بقيت صامتاً، فقال "حسب ما فهمت فأنت تقيم عندهما منذ
أسبوع، وهما ليسا والديك، ولا يعرفان عنك الكثير"

نظر إليها فطأطأت رأسها، وبما أنني لم أجب طلب إليها
الانتظار في الخارج.

بعد أن خرجت نظر إلي قائلاً "هل سبق أن فقدت وعيك هكذا
من قبل؟"

"لا" كان كل ما قلت.

"هل تتناول علاجاً ما؟"

"لا"

"هل سبق أن شخّصك أحد بمرض معين؟"

"لا"

"لا أمراض مزمنة في القلب؟"

"لا"

"ألم يسبق لك أن تعرضت لنوبة من التشنجات؟"

"كلا"

"إذن فأنت معافى تماماً"

معافى!

"ستكون على ما يرام"

ما يرام! من السهل أن يقول ذلك.

أنهى الطبيب كلامه وخرج من الباب، هناك التقى بهما
ليتحدث إليهما.

سألته فوراً "هل هناك أي مكروه؟"
أجابها مطمئناً "أبداً، إنه بأحسن حال، ولكنه مكتئب، وأظنه
في حالة شديدة من الاكتئاب، عليكما أن تحذرا"
سأل "نحذر من ماذا؟"
فقال الطبيب "من أن يؤذي نفسه"
في هذه اللحظة دخلت الممرضة علي وقد كنت أنزع المغذي من
يدي، هرعت إلي قلقة لتنزعه بنفسها قائلة "من الخطر أن تفعل ذلك!
دعني أنزعها بنفسني"



الفصل السابع

عدنا إلى المنزل ولم يتحدث أحدهنا إلى الآخر، بل لم أنظر إليهما على الإطلاق، أظن أنهما كانا يريدان الحديث ولكنني لم أسمح لهما بفرصة.

ما يزال الوقت مبكراً، لا أريد أن أظل في الغرفة طول الوقت، أريد أن أخرج.

يبدو أنه قد توقع ذلك، فقد مد إلي نقوداً وقال "اذهب واشترِ بها ما تشاء"

إنها بقدر نقود البارحة، لا تكفي لأكثر من غداء! هل يظن أنه يؤدي إلي خدمة ما؟

اضطرت لأخذ النقود لأخرج من المنزل، ويبدو أنها كانت قلقة جداً من أن أخرج وحدي، ولكنه تركني أفعل ما أشاء.



الفصل الثامن

عدت إلى الطرقات، أسير هنا وهناك، بت أعرف معظم أنحاء المدينة، بل ربما لم أته عن دهليز من دهاليزها.

فرأيته للمرة الأولى، إنه يقاربني العمر، يستلقي على رمال الشاطئ، يرتدي قبعة شبابية، وهناك لاصق طبي على أنفه!

اقترب منه بعض الشباب وقد ظنوا أنه نائم، تذكرت ما جرى معي البارحة، وكيف كانوا يسرقونني، فاقتربت لأمنع حصول ذلك.

ولكن يبدو أنه لم يكن بحاجة إلى المساعدة، فقد أمسك بأولهم فور اقترابه، ولقنه درساً عنيفاً خاف منه الباقون.

هرب الجميع وعاد للاستلقاء من جديد، يبدو أنه قوي رغم أن قتاله لم يكن يحمل طابعاً معيناً، أظن أنه ما يسمونه قتال الشوارع.



اقتربت منه، ووقفت قريباً من قدميه، فنظر إلي وقال "ماذا تريد؟"

لم يكن صوته غليظاً، ولم يكن مظهره شرساً، إنه فقط لا مبالٍ، يريد أن يفعل ما يحلو له ليس إلا.

قلت "لقد تعرضوا لي البارحة أيضاً، جميل أنهم قد فشلوا في السرقة مرتين متتاليتين"

ابتسم ابتسامة ساخرة وقال "سرقة! كلمة قاسية، لقد حضروا لاسترداد نقودهم"

تعجبت عندما سمعت "نقودهم!"

وقف على قدميه ونفض الغبار عن ثيابه ثم قال "لقد اقترضت منهم نقوداً البارحة، وهم هنا لاستردادها فحسب"

فكرت ملياً بما أسمع، اقترض نقوداً، قدموا لأخذها منه عنوة، منعهم من أخذها، ما تزال نقودهم معه! قلت "هل بدأتهم بالسرقة؟"

"تُ، تُ، تُ، قلت لك أنني اقترضتها منهم فحسب"

"ومتى تنوي إعادتها؟"

"عندما أصبح غنياً واستدار ساخراً.

لم أستطع تحمل ما سمعت، أسرعته إليه وأمسكت به بقوة قائلاً "أنت لا تعرف ماذا يعني أن يسرق أحدهم منك شيئاً"

ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة، لم تكن كسابقاتها، إنها
ابتسامة تغطي ألماً خلفها، وقال "صدقني، أنا أعلم، بل أعلم الأسى
عندما توقن أنك غير قادر على استعادتها، لأن من أخذها منك أكبر
وأعظم"

تركته، لم يعد لدي ما أقول بعد ما رأيت وسمعت، أخفى
وجهه عني وسار مبتعداً بخطوات يائسة.
من يكون؟



الفصل التاسع

عدت إلى المنزل بوجه مختلف، وتحققت من ذلك عندما دخلت،
فقد كانت تتجادل معه عن الأسلوب الجديد الذي يريدان اتباعه في
التعامل معي، دخلت وهما على حالهما، سكتا ونظرا إلي، فصنعتُ
ابتسامة عريضة تقول "أهلاً بعودتك"

قلت وأنا أنظر إليهما "شكراً"

رغم أنني لم أقل أكثر من تلك الكلمة واتجهت إلى غرفتي فوراً، إلا
أنني شاهدت معالم الحيرة على وجهيهما! لقد تغيرتُ، شيء فيّ قد تغير.
جلستُ في غرفتي، تتقاذفني الأفكار هنا وهناك، بت لا أدري
ماذا ينتابني! في مثل هذه الأحوال كنت دائماً أفضل أن أمسك بالقلم
وأكتب على الورقة كل ما يجول في خاطري، وأنظر إليها بعد أن أهدأ
قليلاً، شيء من هذا قد حدث ولكن هذه المرة بأسلوب مختلف.

بحثت عن ورقة وقلم، وجلست على الفراش أكتب، فكان أول
ما كتبت هذه الرسالة:

إلى من قد لا ألتقيه بعد اليوم أبداً،

لقد حركت فيّ مشاعر غريبة، بل ربما كنتَ تغييراً جذرياً في

حياتي!

لظالما ظننتُ أنني فقدتُ ما لا يعوض ، ولكن نظرتك وابتسامتك
العميقتين جعلتاني أفكر ، ماذا فقدتَ ؟
وتابعت الكتابة إلى أن غفوت...



الفصل العاشر

في صباح اليوم التالي كنت قد استيقظتُ والأوراق إلى جانبي، والقلم ما يزال في يدي، أظن أنني قد حلمت به، ولكنني لم أستطع تذكر الحلم، نظرت إلى الأوراق وبدأت أقرأ ما كتبت، فدخل في أعماقي أكثر، وقررت أخيراً أن أحظى بالفرصة التي أعطيت لي، التغيير.

غسلت وجهي، واتجهت إلى طاولة المطبخ، كان الوقت ما يزال مبكراً، وكانت ماتزال تحضر مائدة الطعام.

قلتُ "صباح الخير" فانتبهت إلى وجودي في الغرفة، حدقت بي مدة قبل أن تبتسم وتقول "ص... صباح الخير!"

لا ألومها على تردها هذا، فقد تغيرتُ، وعلي أن أغير كل ما كان حولي بتأن.

اقتربتُ منها أنظر ماذا تصنع، إنه حساء من الخضار، قلت "تبدو رائحته شهية"

نظرتُ إلي ثم إلى الطبق وقالت "ح... حقاً؟ هل أعجبك؟"

"هل أستطيع أن أذوق؟"

"بكل تأكيد!"

قدمتُ لي ملعقة، واحتسيتُ من الطبق الرئيسي القليل، وبعد

تركيز قلتُ "أظن أنه بحاجة إلى القليل من الملح"

طأطأت رأسها قائلة "أنا وزوجي نعاني من ارتفاع في ضغط الدم،
لذلك لا نستعمل الملح في طعامنا"

سكت، يبدو أنني لا أعرف عنهما شيئاً فعلاً، ولكنها قالت
بسرعة "أظن أن هناك ملح متبق لدينا في الخزانة، تستطيع أن تضيف
منه إلى طبقك"

وهرعت تبحث عن الملح.

نظرت في المطبخ حولي، كل الأواني بسيطة، كل الكؤوس،
والأطباق، لست أدري هل هما من الطبقة الوسطى أم المتدنية! فتحت
الثلاجة، فإذا بها تحوي بعض الفواكه، والبيض، والجبن فقط.

نظرت إلي قائلة "هل تبحث عن شيء ما؟"

أغلقت الثلاجة قائلاً "ليس شيئاً معيناً"

"إذا ما كنت تريد شيئاً ما لا تتردد في طلبه منا"

قلت وأنا ما أزال أمسك بالثلاجة أنظر إلى حيث يدي "هل

تعليمين؟ لقد ترعرعت في عائلة فاحشة الغنى"

تغيرت ملامح وجهها، رغم أنني لم أره مباشرة، إلا أنني
شعرت به بشدة، بقيت صامتة ولم تعلق، بعد لحظات ابتسمت إليها
وقلت "ظننت أنني سأجد عصيراً ما"

نظرت إلى يدها فإذا بها قد وجدت الملح، وضعته على الطاولة

وقالت "سأجلب لك عصيراً اليوم، أي نوع تفضل؟"

”أي نوع، لا بأس”

”هل كنت تشرب العصير طازجاً؟”

كان في سؤالها شيء من الحزن والقلق أنها لن تستطيع أن تلبي

لي طلباتي، ولكنني قلت ”عصير تشربانه في العادة”

سكتت فعلمت أنها تظن أنني لن أحب العصير الذي يشربانه،

حيث أنه رخيص الثمن جداً، الحقيقة أنني لم أستطع مجاملتها أكثر،

فأنا لست أدري المدى الذي أستطيع فيه تحمل حياة كهذه.

لطالما كنت أسير في الطريق أحمل معي نقوداً كافية لقضاء ثلاثة

أيام في أفخم الفنادق! أسوق أفخم السيارات، أرتاد أرقى النوادي،

وأتناول طعام أشهى الطهارة! حياتي كانت مختلفة تماماً، ولست أدري

بعد إذا ما كنت أستطيع أن أعيش سعيداً وأنا أفقد الكثير مما كنت

أملك.



الفصل الحادي عشر

خرجتُ من المنزل قبل أن يستيقظ زوجها، وقصدت الجامعة.
يا من قد لا ألتقيه بعد أبداً،
لقد تغيرتُ، لحظة كانت كافية لقرار كبير، أريد أن أعود إلى
حياة ملؤها الأمل والتفاؤل، ربما لا أستعيد ما فقدت، بل ربما كنت
على يقين أنني لن أستعيده أبداً، ولكنني لن أنظر إلى الوراء.
ها أنا ذا في طريقي إلى الجامعة، أدخل ممراتها، أفتح أبوابها،
إنها جميلة، والطلاب يملؤونها حيوية.
ممر تلو ممر، غرفة إلى جانب غرفة، تذكرني بأيام سعيدة
عشتها، بلحظات تفوقُ فزت بها، لقد كنت سعيداً، وأستطيع أن أكون.
والآن وقد وصلت إلى القاعة التي ستبدأ فيها محاضرتي الأولى،
أفتح الباب لأبدأ اليوم الجديد...
توقفت عند الباب، لقد صادفت أول من صادفت، لقد كنت أنت!
تجلس على الكرسي باستهتار، ترتدي القبعة رغم أننا داخل
الغرفة، وما تزال تضع اللاصق الطبي على أنفك!
لم أكن أتخيل أن أراك مجدداً، بل... لماذا انتابني شعور بخيبة
الأمل؟ هل أردتك رمزاً في ذاكرتي فحسب؟ هل أخشى شيئاً ما؟

نعم، حصل ما خشيت، لقد كُنتَ لي صورة لم أكن أريدها، استهتار، أذى، لا أبالية، إزعاج، اكتشفت أنك مكروه من قبل الجميع! فلماذا تكون رمزي؟ لماذا تؤثر في؟

عدتُ إلى المنزل غير الشخص الذي خرج منه، عدت والأفكار تجول في خاطري، هذه المرة لن أبعث بها إلى أحد، بل ليس هناك من يستحقها! بل ليس هناك من يستحق أي شيء!

دخلت فحاولت أن ترحب بي بحفاوة، ولكنني رددت الباب بقوة، ودخلت غرفتي بسرعة وأغلقت الباب بقوة خلفي أيضاً، وألقيت بحقيبتني على الأرض، أريد أن أصرخ، أريد أن أفعل شيئاً، ما! نظرت إلى المكتب، إنها الأوراق التي كتبتها إلى "من قد لا ألتقيه أبداً"، أمسكت بها وبدأت أمزقها الورقة تلو الأخرى، وبدأت الدموع تنهال من عيني دون أن أشعر، لقد كنت غاضباً ويائساً، أغلي من كل قلبي.

مزقت جميع الأوراق، ولم يشف ذلك غليلي، فرحت أضرب ما أراه أمامي، ألقى كل ما أستطيع أن ألقيه، منه ما تكسر، ومنه ما بدأت أدوس عليه، ما الذي سيشفى غليلي؟ ما الذي سيهدئني؟ دخل مسرعاً إلى غرفتي بعد أن سمع الأصوات الصادرة منها، ورآني أكسر كل شيء، وأمزق كل ما أقع عليه، حاول الإمساك بي، حاول وحاول، ولكن من الذي يستطيع أن يوقفني؟

أخيراً أزعجني، فلطمته على وجهه، فسقط من فوره، هنا
توقفت، لقد فقد وعيه، كلا بل قد تغير شيء في وجهه! لقد أدركت
أخيراً أنني فعلت شيئاً فظيلاً!



الفصل الثاني عشر

أخذني شرطي إلى غرفة منعزلة من المشفى ، مر أكثر من أسبوع ولم ألتق به ، الرائد ألين.

جلست على الكرسي أمامه ، أقول "ظننت أنني لن أراك ثانية"
فنظر إلي قائلاً "أنت تعلم سبب وجودي هنا"
نظرت إليه أخشى ما سيقول ، ولكنه كان كذلك "لقد منحتك
فرصة كبيرة ، ولم يكن ذلك سهلاً علي ، وكان اتفاقنا أن الفرصة تنتهي
في حالة وصل اسمك إلى أي مركز شرطة"
طأطأت رأسي ، فتابع قائلاً "للأسف لم يدم ذلك وقتاً طويلاً ، لقد
خيبت أمني"

لم يكن لدي ما أقول ، بقيت صامتاً لا أدري ماذا سيحدث ، ولكن
الرائد قال "لقد رفعتُ يدي عن الموضوع ، وسلمتك إلى المحكمة"
رفعت رأسي أنظر إليه بسرعة ، ولكنه سار إلى الباب يتجاهل نظراتي
ويقول "ستتم محاكمتك غداً ، ولأصدقك القول لا أظنها ستكون رحيمة"
خرج من الباب ، ودخل شرطي يضع القيود في يدي ، وسحبني
ليزج بي في السجن.

لم يبق حولي من أسترحمه ، لقد فات الأوان ! انتهى أمري.

الفصل الثالث عشر

نمتُ في الزنزانة، لقد أخبرني أن المحاكمة ستكون في الغد، كان علي توقيع بعض الأوراق المتعلقة بمحاكمتي السابقة، لم أرد أن أقف الموقف ذاته ثانية، لم أرد أن أعود أدارجي إلى تلك الهاوية، ولكنني هنا أقف وقد فقدت كل أمل في العودة.

بدأت أسمع أصواتاً تنطق باسمي، إنهم يتحدثون عني، ربما حان وقت المحاكمة، وعلي استبدال ثيابي.

بدأت أبكي، ما من مفر، بل ربما كنت محظوظاً بأسبوع قضيته حراً طليقاً، لسبب ما كنت أبكي على الأسبوع الذي عشت أكثر من الماضي الذي ظننت أنه ما يحزنني، ماذا جرى معه؟ هل سببت له تشوهاً ما؟ أوه. لن أنجو من ذلك أبداً، بل ربما أراه يشهد ضدي في المحكمة! ما كان عليهما استقبالي في بادئ الأمر، أنا لا أستحق ذلك! طلب إلي الشرطي استبدال ثيابي بسرعة، فعلمت أن الأوان قد حان، أظن أن الحكم سيكون صارماً، لا ألومهم في ذلك، ولكنني أرفج، أنا أعلم تماماً ما سيجري، سيقف الجميع ضدي.

أمسكني الشرطي وأخرجني من الزنزانة، ولم أستطع أن أحبس دموعي، إنها تنهمر بغزارة.

سرت في الممر، وقد كان يقف هناك إلى جانب زوجته والرائد ألين! ضماذ كبير على أنفه، يبدو أنني كسرتة فعلاً!

طأطأت رأسي لا أستطيع أن أنظر في عيون أحدهم، ولم أرد أن يروا الدموع على وجنتي، ولكننا اقتربنا من بعضنا أكثر فأكثر، إلى أن وقفت أمامهم، فقال "لقد سحبت البلاغ"

لم أرفع رأسي، ولم أفهم ما قاله، حتى تابع "لنعد إلى المنزل"

استدار وغادر، لا يبدو أنه كان راضياً تماماً عما يفعل. لحقته زوجته بينما أشار الرائد ألين إلى الشرطي ليتركني.

نظرت إلى الرائد فقال "لقد قرر أن يسامحك، لقد ألغي الملف بالكامل"

حرف الشرطي ساعدي من القيود، فنظرت إلى الرائد وما تزال الدموع على وجنتي، فقال "اذهب معهما، ستعود إلى المنزل"

استدار الرائد وذهب في اتجاه آخر، لم تستطع أي كلمة أن تجد طريقها إلى فمي، وكان علي اللحاق بأحدهم، فذهبت أسير خلف الرجل وزوجته.



■ الفصل الرابع عشر

لم ينطق أحدهما بكلمة في السيارة، ودخلنا المنزل، فاتجها إلى غرفتهما ليأخذا قسطاً من الراحة.

بقيت واقفاً في الصالة، وسمعت صوت الباب يقفل، لقد دخلا غرفتهما.

سرت لأدخل غرفتي، ولكنني وقفت أمام باب غرفتهما، حاولت أن آخذ نفساً عميقاً، ولكنه لم يساعد في تهدئتي.

طرقت الباب وصرخت من خلفه "ماذا أخبرك؟... ماذا أخبرك؟" فأجاب بهدوء "أخبرني أنه سيحكم عليك بالإعدام إذا ما علم أحدهم ما فعلت"

"فلماذا تستقبلني؟"

سكت قليلاً ثم قال "لأنني أعتبرك ابناً لي" أنزلت يدي، وشعرت بضعف كبير وخيبة أمل، ثم قلت "ولكنني لست ابنك"

فقال "وأنا أيضاً لست والدك"

بقيت واقفاً خلف الباب، إلى أن سمعته يقول "أردت أن أمنحك الفرصة"

لقد اكتفيتُ، دخلت غرفتي وأغلقت الباب من خلفي، نظرت إلى
الداخل فإذا بها عارمة بالفوضى، كل الثياب ملقاة ومعظمها ممزق،
كسرت الطاولة ومزقت الأوراق، الستار ملقى على الأرض، لقد فعلت
كل ذلك!

جلستُ أسند ظهري إلى باب الغرفة وتابعت البكاء.



■ الفصل الخامس عشر

بكيت كثيراً تلك الليلة، واستيقظت باكراً، اغتسلت، وقمت
بترتيب ما يمكن ترتيبه في الغرفة.

نظرت في المكتب، وقد تبقت بعض الأوراق الفارغة، إلى جانبها
القلم.

جلست لأكتب، وكان هذا ما كتبت
إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،
لقد خيبت أمني، نعم، وتسببت بمشكلة كبيرة. لست أدري إذا
كنت أستطيع أن ألقى اللوم كاملاً عليك، ولكنني أتمنى أن أفعل.
لقد أردتك رمزاً، شيئاً كبيراً في مخيلتي، ولكن يبدو أن العالم
قرية صغيرة، فما بالك بالمدينة الواحدة؟

لقد عشتُ ظروفًا صعبة، أدت بي إلى الكثير، فهل عشتُ ظروفي؟
أم أنك عشتَ ما هو أقسى؟

لست أدري إذا ما كنتُ أسوغ لنفسي ما تفعل، ولكن يبدو أنك
تسوغها لنفسك، فهل لديك السبب الوجيه لكل ما تفعل؟

ما هو ماضيك؟ وماذا تطوي في خفاياه؟ ربما لن أسألك يوماً،
ولكنني سأبقى أتساءل، لك؟ لا، بل لنفسي، لكي يظل لدي الأمل أنك

الشخص الذي أردت، الشخص الذي أتحدث إليه بكل ما يجول في خاطري، الشخص الذي يستقبل مني كل ما أقول، الشخص الأكثر قدرة على الإنصات، هو أنت.

هكذا أردتك دائماً أن تكون، وإن لم تكن كذلك، فإنني سأجعلك، أنت هو، أنت من ظننت أنني لن ألتقيه يوماً، وحتى وإن التقينا، فسيظل هذا الحديث بيننا مسجلاً على الورق.



الفصل السادس عشر

دخلتُ الغرفة، فرأنتني أكتب على المكتب، فارتسمت على وجهها علامات الدهشة والسعادة معاً، بل بدأت تدمع! إنها لا تنظر فيما أكتب، بل كانت تحقق فيما ألبس.

نعم لقد استبدلت ثوبي أخيراً بثوب مما كان في الخزانة، أظنه كان لابنها، لهذا كانت تبكي، بل ربما ظنت لوهلة أنني هو! لم أشأ أن أسألها، فيبدو أنها لم تكن لتتحدث عنه دون دموع، ولم أكن ممن يحبون دموع النساء، فنهضت لأتناول الإفطار معهما على الطاولة قبل الذهاب إلى الجامعة.

في الجامعة بات الوضع روتينياً بسرعة، محاضرات حسب الجدول، أجلس للاستماع إلى ما يقوله المحاضر، والجميع هادئون. محاضرة وحيدة كانت تجمعنا، جلستُ باستهتار ولم أبالي، تحدثت مع هذا وذاك، وأزعجت هذه وتلك، ولم أبالي، ولكنك أخيراً جلستُ أمامي وكنتُ أعلم أنك تنوي التحدث إلي.

ربما كان هدوئي هو ما جذبك، وربما كان عليك أن تتعرف على الجميع بما تحتمه عليك شخصيتك، ولكنها كانت المرة الأولى التي نتحدث فيها معاً بعد الموقف الأول.

أنزلتَ رأسك على طاولتي ، فكنتَ تنظر إلي بالقلوب ، ولم آبه لما
تفعل ، فقلتَ "هل أجد لديك علكة؟"

ليتكَ لم تتفوه بأية كلمة ، فأنا أحاول طول الوقت أن أفصل ما
أكتب عما أرى ، في كل لحظة تريد أن تجعلني أندم على اتخاذك ذلك
الرمز الذي احتجته ! قلتُ "لا ، لا تتصرف كطفل"
ولكنك ابتسمت ذات الابتسامة الهادئة وقلت "لا أعتبر هذه
إهانة"

هل أنا من يتخيل الأشياء أم أنك عميق حقاً؟ لماذا أصر على أن
أرى فيك ما لا يراه أحد؟ ربما هي الحاجة في نفسي ليس إلا ، أم أنك
فعلاً شيء مختلف؟



■ الفصل السابع عشر

نزع الضماد عن أنفه، فكان قد ظهر عليه التشوه فعلاً، كان علي الاعتذار بشدة عما جرى، ولكنه لم يترك لي المجال، وكان غالباً ما يحاول تجنب الحديث معي.

هل هو غاضب؟ هل ألومه على ذلك؟ لماذا يعطيني فرصة أخرى؟ هل يريد أن أشعر بالذنب؟ هل يظنني شخصاً سيئاً؟ أم... هل يفعل ذلك لأجله فقط؟

لا أحب التفكير فيما يفكر فيه الآخرون، فهذا يجعل الحياة معقدة، ولكن عندما يصبح الموقف ذا طرفين، فأكون طرفاً فيه، يتوجب علي التفكير فيما في ذهن الطرف الآخر، وقد بقيت كذلك مدة أسبوع أو أكثر.

فكرت كثيراً بابينهما، ربما مات، وربما تركهما! لست أدري، أريد أن أجد أسلوباً أتواصل فيه معهما ولكنني لسبب ما لا أريد أن أسمع شيئاً عنه، ربما لأن ذلك يجعلني أشعر أنني أمثل دور شخص آخر ليس أنا، وأنني قد ولدت من جديد ذلك الشخص.

أنا لا أكره من أكون، ولست أدري إذا ما كان هناك من يكرهني فعلاً، كل ما جرى أنني قد أعطيت فرصة أخرى للحياة، ولست أدري بعد ما أفعل فيها!

كتبت لك كل تلك الكلمات، ولففت الورقة، ووضعتها إلى جانب
مثيلاتها في الدرج، هل سيحضر اليوم الذي تقرأ فيه تلك الكلمات؟



الفصل الثامن عشر

في الجامعة، في المحاضرة التي تكون فيها، تغيب المحاضر،
وبقي الطلاب يلهون ويتحدثون معاً.

كنت أبرزهم، بل بدأت لعبة مع جميع الطلاب، المكاسرة.
كنت أقواهم، لم يستطع أي طالب التغلب على ذراعك، إنها
صلبة جداً.

شعرت بالسعادة الغامرة في الفوز على الجميع، وبدأت تبحث
عن من لم تهزم بعد، فكنت آخر من نظرت إليه.

أشرت بإصبعك إلي، كنت غير مكترث بما يجري، أو على
الأقل هذا ما كان واضحاً من تعابير وجهي، ولكنك أصررت، حيث
تكون بذلك قد هزمت الجميع، فقلت لك "على أن تنزع اللاصق الطبي
عن أنفك إذا فزت عليك"

أصدر الجميع أصواتاً سعيدة للتحدي، ولكنك ابتسمت وقلت
"وماذا إذا ما فزت أنا كما حدث مع الجميع؟"

قلت "اطلب ما شئت"

فقلت دون تفكير عميق "تحدث إلى الجميع، وتخرج من عزلتك
المزعجة"

ضحك الجميع ، ولكنني شعرت أنك تقصد شيئاً ما مما تقول، إنك تريد ذلك منذ زمن! لقد تهربتُ منك كفاية، ولم يعد ذلك محتملاً.
وافقتُ ورفعتُ أكمامي أتجهز للمكاسرة، ووضعتُ يدي في يدك، وقبضنا قبضة ملؤها التحدي،

أُعلنت البداية، وبقينا نشد أيدينا مدة، لا يتحرك أحدهنا عن البداية أنملة! كنتُ قوياً، ولكنني رياضي أيضاً، ولكن الحظ لم يكن ليحالفني حيث كنتُ قد ابتعدت عن الرياضة فترة، وبدأت قوتي تخونني، وبدأت يدي تهوي، وتهوي، وتهوي...

فزت عليّ بصعوبة، وكان كل منا عند كلمته، ولكن ما تعجبتُ منه هو سعادة الجميع بفوزك عليّ، ليس لأنهم يكرهونني، بل لأن الجميع كان إلى جانبك، بالإضافة إلى أن الجميع كان يريدني أن أختلط بهم أكثر.

لم يكن الأمر سيئاً، فقد اجتمع الجميع على قلب واحد، وبدأتُ أتعرف عليهم، وقد عرّفتُ بنفسي، ولكنك سألت بدقة "هل تمارس رياضة ما؟"

نظرتُ إليك فقلتُ "يدك كانت الأقوى"

ابتسمتُ ابتسامة خفيفة وقلتُ "تركتهما منذ زمن، أنا لاعب كاراتيه"

فقلت "لاعب جيد"

أخيراً قلتُ ما أدهش الجميع "صاحب حزام أسود، والحاصل
على كأس نوادي القارات لثلاث سنوات متتالية"

أصدر الجميع أصوات اندهاش وإعجاب عالية، فابتسمت بهدوء
ونَهَضْتُ قائلاً "كما ظننت"

عندها بدأ الجميع يقترح علي أن أسجل في نادي الجامعة، وأن
أستعيد لياقتي، جميل أن أحدهم لم يسأل عن السبب الذي انقطعت
فيه عن التدريب، كان ذلك أدباً أقدره لهم.

وبقيتُ أتحدث إلى الطلاب إلى أن انتبهتُ أنك قد غادرت
الغرفة.



■ الفصل التاسع عشر

عدتُ إلى المنزل بوجه مختلف، فقد تحدثتُ كثيراً إلى الطلاب،
وانسجمتُ معهم أخيراً.

ولكن التوتر ما يزال على حاله في المنزل،
ما إن دخلتُ حتى سمعت صوتهما يرتفع بالجدال، لم يسمعا
صوت الباب يفتح، وقد دخلتُ أسمع كل ما يتجادلان به.
كانت جدالات متفرقة، ربما كان بعضها يخصني، ولكن لم يكن
هناك جديد، شعرت فعلاً أنني في منزل عجوزين، تعباً من مشاغل
الدنيا، وأتعبهما طول المعيش معاً! هل كانا هكذا في الصغر أيضاً؟
لم ينطق أحدهما بكلمة واحدة عن ابنهما، كنت أفضل ذلك،
ولكنني تعجبت من نفسي أخرج من غرفتي لأطرق الباب عليهما ليعلما
أنني قد وصلت، علّهما يتوقفان عن الجدال المزعج.
ما إن طرقت الباب أول طرقة حتى صمتا، قلت بهدوء "لقد
عدت"

فتحتُ الباب وقد كان وجهها مخطوفاً برؤيتي في وقت لم تتوقع
أن أعود فيه إلى المنزل، فقلتُ "لا تقلقا، لم أسمع شيئاً مما تجادلتما
فيه، لقد وصلت للتو"

ربما تحسنت تعابير وجهها قليلاً، ولكنها ما تزال مستاءة
لحضورى المفاجئ، فقلتُ "لم تسمعا طرق الباب، فدخلت، هناك بعض
المحاضرات علي مراجعتها، سأكون في غرفتي"
اتجهت إلى الغرفة فلم ينطق أحدهما بأية كلمة، لقد كانت ردة
فعلهما مبالغ فيها! أو ربما كانا تحدثا بأمور مهمة منذ زمن قصير،
ومايزالان يخشيان أن أكون قد سمعت شيئاً.



الفصل العشرون

بدلاً من أن أبدأ بالدراسة بدأت الكتابة،

إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،

إننا نلتقي كل يوم، كزملاء، كمنافسين، كأعداء، لست أدري،

كلما نظرت إليك انتابني شعور غريب، وكلما عدت إلى المنزل بدأت الكتابة على الفور.

لطالما ظننت أنك لا تراني، ربما كنتُ مخطئاً، فطلبك لي

بالمكاسرة، بل اشتراطك علي أن أختلط بالجميع كان دليلاً كافياً أنك تشعر بوجودي.

لست أدري ماذا أعني لك، بل لست أدري أيضاً ماذا تعني لي،

إن هذه الكتابة باتت أهم ما أقوم به في حياتي! هل تعلم ذلك؟

ماذا سيكون انطباعك إذا ما علمت أنني أكتب إليك؟ هل ستظن

أنني شخص أحمق؟ هل ستضحك؟ لن ألومك على ذلك، فالكتابة باتت الشعرة التي أتعلق بها في هذه الدنيا.

من المضحك أنني كنت في أفضل عيش، وبت الآن أتعلق بأبسط

الأمر، وما زلت أتعلق بالحياة، لماذا؟ أما تزال هناك حلاوة للحياة في قلبي؟ أم هو الخوف من الموت والمجهول؟ لا أدري.

الفصل الحادي والعشرون

اتجهت إلى قاعات الرياضة في الجامعة، وبدأت التدريب على الفور.

كان علي أن أستعيد اللياقة التي فقدتها، ولم أكن على عجلة من أمري، فأنا أعلم أن هذا سيأخذ وقتاً طويلاً.

الأغرب من ذلك أنني بدأت أكون صداقات في مختلف المجالات، فقد كانت القاعات مليئة، والناس مرحين وسعداء.

تعرفت على المدرب، وعلى بعض تلاميذه، ولكن أكثر من جلب انتباهي كانت نادية، فتاة نشيطة ورياضية، ترتدي ثياباً لفريق معين، يبدو أنها تشارك في مباريات ما، شعرها أسود قصير، وتقوم بالاستعداد للمباراة.

بقيت أرقبها، وإلى أي ملعب ستتجه، إنه ملعب كرة اليد. استعدت الفتيات للمباراة، ووقفت بين الجمهور أراقبها، إنها ماهرة ومميزة.



فاز فريقها بضرباتهما الماهرة، وكنت سعيداً برؤية المباراة
الجيدة، بل إنني قد تشجعت وسرت تجاهها لأبارك لها الفوز، إلى أن
رأيتك، لقد اتجهت صوبها قبلي، وباركت لها مباركة كان من الواضح
أنها حميمة.

وقفتُ بعيداً أنظر إليكما، إنها سعيدة بصحبتك، بل أمسكتَ
ذراعها وخرجتما معاً تحتفلان بالفوز وحدكما.

علمت بعدها أنها صديقتك، من الغريب أنني أنجذب إلى ما
تنجذب، وأجذب ما تجذب! ما طبيعة هذه العلاقة التي تجمعنا يا
تري؟



■ الفصل الثاني والعشرون

عدت إلى المنزل منزعجاً، نعم لقد أزعجني ما رأيت، ربما أردت أن أكون مكانك، أن أحظى بمرافقتها وإسعادها.

بل ربما ظننت أنه لم تكن هناك فتاة لتعجب بك، مشاكس ومهمل! فتاة مثلها كيف تعجب بأمثالك؟ هل تخدعها؟

طلباً إلي الجلوس إلى مائدة الطعام، جلست ولم أكن أريد التحدث في أي موضوع، وفوق ذلك فقد تحدثنا بموضوع لا أحب الحديث فيه مطلقاً!

قال "هل فكرت بأن تذهب إلى المعبد لتكفر عن ذنبك؟" إنه يتحدث عما لا يعرف، ولكنني قلت ببساطة "لم يطلب مني أحد فعل ذلك قط، بل لم أدخل المعبد من قبل"

شعرت أنهما يفكران أن والديّ لم يحسنا تربيته، وحاولتُ تلطيف الموقف وتهديته، ولكنني كنتُ منزعجاً من أمور أخرى، ونهضتُ أقول باستهتار "سأذهب عندما أصبح في الخمسين، فأكفر عن ذنوبي كاملة"

واتجهت إلى غرفتي لا أريد أن أرى وقع كلماتي على وجههما. دخلت الغرفة وأغلقت الباب، وأمسكت القلم وكتبت.

إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،
لقد أثرت فضولي وغيرتي، إنني أغلي، أريد أن أعاتبك على
شيء لا ذنب لك فيه، إنك تملك شخصاً رائعاً إلى جانبك، وقد أردتها
إلى جانبي بقوة!

ربما يكون هذا ذنباً من الذنوب التي أقترفها، والتي أحتاج إلى
غفران الله لها، ولكنني لا أظن أن الله بحاجة إلى رسول ليغفر لي
ذنوبي! أفضل الكتابة إليك بها على أن أكشفها لمن لا أعرف.
أنهيت الكتابة واستلقيت على الفراش أفكر بها، نادية، كم هو
محظوظ!

لم أستطع الدراسة مطلقاً، أردت أن أتمشى قليلاً في الأسواق،
أعلم أنني لن أقدر على شراء الكثير، ولكنني مللت المنزل.
استأذنت منهما بالخروج، ومنذ تلك اللحظة لم يفتحاني في
أمور التدين مطلقاً، ربما ينسا من الأمر أساساً.



■ الفصل الثالث والعشرون

تمشيت بين الأسواق، كل الوجوه كانت غريبة علي، وما زلت أشعر أنهم يرمقوني بنظرات الغريب عن المنطقة.

ربما لم أكن أعرف كل الناس في مدينتي، ولكن على الأقل لم يكن ينتابني شعور الريبة كما هو الآن.

أردت أن أقف بين الناس، وأن أصرخ بأعلى صوتي، نعم إنه أنا! أنا من نفي من مدينته إلى هذه المدينة! أنا الذي اقترفت ذنباً لا يغتفر، ولكن الحكم قد خُفف علي بطريقة ما! أنا هو من يتوجب عليكم الحذر منه! إنه أنا!

عدت إلى المنزل لا أدري هل كانت فكرة الخروج إلى السوق حسنة أم أنه كان علي البقاء في الفراش، ربما كان النوم أفضل ما أفعل، ولكن من يضمن لي غياب الكوابيس؟



الفصل الرابع والعشرون

عدت إلى الجامعة، وإلى النادي، والتدريب الجاد.
بات التدريب مؤلماً بالنسبة لي، كلما حاولت القيام بحركة
ثقيلة أو مفاجئة كان الألم يستوقفني، مازلت أشعر بالعجز، هل
أستطيع العودة إلى الرياضة كما كنت في السابق؟
ومن أجل ماذا أعود؟ ماذا أريد من ذلك فعلاً؟ وماذا كنت أريد
من ذلك من قبل؟
كنت مشهوراً ومحبوباً ومتفوقاً، كل تلك المشاعر كانت تعني لي
الكثير، فهل تعني لي شيئاً الآن؟ هل سأعود إلى ما كنت عليه؟
توقفتُ عن التدريب لحظة، فسمعتُ صوتاً لطيفاً يقول "هل أنت
بخير؟"
التفتُ فإذا بها نادية، لم أقل شيئاً لوهلة، فقالت "تبدو
شاحباً، لقد كنت في وضع أفضل البارحة"
البارحة، إنها تذكرني، قلتُ "أنا بخير، يبدو أنني قد آذيت
عضلاتي"
قالت "لا ترهق نفسك في التدريب، عليك أن تستعيد لياقتك
بالتدريج"

أستعيد لياقتي ، كيف تعلم أنني قد تركت الرياضة فترة؟
لوحتُ بيدها وركضت إلى الملعب لتبدأ المباراة، بينما وقفت بين
الجمهور أراقبها، ولم أكن الوحيد، فقد حضرت أيضاً، وراقبتَ
المباراة.

هذه المرة خسرتُ، إنني ألمح الدموع في عينيها، وكنتَ أول من
اتجه إليها لمواساتها، يبدو أنك تعني الكثير بالنسبة لها، بذلك عدتُ
أدراجي، وتابعتُ التدريب وحدي.



الفصل الخامس والعشرون

تابعتُ التدريب، واستعدتُ شيئاً من لياقتي خلال أسابيع، ربما كان وجود نادبة حولي كافياً لإصراري على المتابعة، رغم أنني أعلم تماماً أنها لك، وأنتك لها.

ومرت الأيام، ومرت الامتحانات، كانت علاماتي جيدة، بينما لم أستطع أن أعرف علاماتي، فقد كنت حريصاً على إخفائها عن الجميع، ما زال الفضول يقتلني، هل أنت من الأوائل ولا ترغب لأحد أن يعلم ذلك؟ أم أنك ترسب دوماً ولا تريد أيضاً لأحد أن يعيرك بذلك؟ لست أدري.

بدأت أنضم أكثر وأكثر إلى قسم الكاراتيه، وقد تأكدت أنك لا تشارك في النادي على الإطلاق، بل لم أرك تشارك في أي نادٍ في أي مجال في الجامعة! بينما نادبة هنا تبذل قصارى جهدها لتقديم الأفضل، فما الذي يجمعكما؟

كنت أراها كل يوم تقريباً، أتحدث إليها قليلاً بين الحين والآخر، صباح الخير، كيف الحال، مباراة جيدة، كان طابع الحديث بيننا، إلى أن بدأت أحاول التقرب أكثر.

”هل لديك وقت بعد التدريب؟“

"عفواً؟"

"لنشرب شيئاً معاً"

ابتسمت وقالت "هذا لطف منك، لدي موعد بعد التدريب"

"مع صديق؟"

سكتت قليلاً ثم قالت "أجل"

"إنه محظوظ"

لم يكن لديها ما تقول، فيبدو أنني أثقلت في الكلام، فقلت "ماذا تفضلين فيه؟"

كان من الممكن أن تترك الجلسة، وأن تتفادى وجودي قدر الإمكان، ولكنها لم تفعل، بل سرحت قليلاً ثم قالت بابتسامة "إنه غير متوقع، مندفع وجريء، إنه النوع الذي أفضل"
لم يكن جواباً مقنعاً بالنسبة لي، بل إنه جعلني أشعر أنني لا أفهم الفتيات على الإطلاق! ولكنني قلت "فقط؟"

ضحكت ثم نظرت إلي وقالت "أنت شخص طيب، ولكنني أقابله، ولا أنوي التخلي عنه على الإطلاق"

شعرت الآن أنني لم أكن أريد لكما أن تفترقا، بطريقة أو بأخرى كنت أريدها إلى جانبي دون أن تباعد عنك، إنكما جميلان معاً! ولكن ليس كل الأشياء يمكن أن تفرضها على هذه الدنيا، هناك أمور يجب أن تسلم بها، حتى ولو إلى إشعار آخر.

صدر الصغير لبداية المباراة، فتجهزت للعب، فقلت لها

”بالتوفيق“

شكرتني ودخلت المباراة، كنت سعيداً أن أداءها كان رائعاً، ولم

يتأثر بشيء من حديثنا، ولكن الغريب في الأمر أنك اليوم لم تكن هنا!



الفصل السادس والعشرون

لم أعد إلى المنزل، كنت أرغب في الجلوس وحدي أفكر فيما يجري حولي، تأخر الوقت، وأظلمت السماء وبرز القمر، ومازلتُ جالساً أفكر.

بدأت السماء تقطر، إنه مطر قادم، بل بدأ يشتد، إنها عاصفة! بدأت أسير إلى المنزل ولكنني كنت بعيداً. احتميت تحت مظلة في السوق، ولكن هذا لم يكن كافياً لحمايتي من الهواء البارد.

ركضت إلى المنزل وقد ابتلت كل ثيابي، ووصلت منهكاً، وقابلتي العيون اللائمة.

“أين كنت؟ لماذا تأخرت؟”

“لقد قلقنا عليك”

بقيت صامتاً، لم أحب تلك العيون يوماً، إنها شديدة لا رحمة فيها، عيون تتهمني بحدة.

“عليك أن تكون في المنزل قبل الغروب، هل تفهم؟ أنت تسكن

الآن في هذا المنزل وعليك أن تطيع من فيه”

بقيت صامتاً، لا أحب أن أسمع شيئاً كهذا.

”لا تجعلني أندم على إبقائك هنا“

فتحت فمي لأنطق ولكن صوتي لم يصدر أية كلمة، لقد كنت متعباً، ولا أريد أن أسمع شيئاً.

”إذا ما فعلت شيئاً كهذا ثانية لن أتردد بتسليمك“

”هذا يكفي!“ أخيراً نطقتُ، نطقتُ من أعماق قلبي لا من فمي
”كان بالإمكان أن تتصلوا بي هاتفياً لتعلموا ماذا يجري معي، أوه آسف
أنني لا أملك هاتفاً، فيبدو أنكم غير قادرين على تأمينه لي! لقد كنتُ
أملك سبعة هواتف بمختلف الألوان، وجهاز لتشغيل الأقراص،
وحاسب شخصي، وثلاث سيارات! فماذا تفعلون من أجلي؟ لا تطالبني
بما لا تستطيع تقديمه لي!“

اتجهتُ إلى غرفتي، وأغلقتُ الباب خلفي أشعر بصداع حاد في
رأسي، إن دمي يغلي.

فوراً بدأتُ أنفَس عن نفسي بالأسلوب الوحيد الذي كنتُ أملك،
بدأتُ أكسر ما أراه في الغرفة.

صدرت أصوات التخريب من الغرفة، وعلمنا تماماً أن هذا يحدث
مجدداً، بل إنه سيحدث كلما انزعجت!

حاولتُ أن تدخل الغرفة ولكنه منعها، فقد تعرض لضربة
كسرت أنفه المرة السابقة، لا أحد يخمن ماذا سيحدث هذه المرة، قرر

أن يتركني وشائي، ليرى إلى ما ستؤول الأمور، وكيف سأهدأ، ولكنه لم يتوقع أن أخرج مغشياً علي مرة واحدة.

دخل الغرفة بسرعة بعد أن هدا الصوت، وسمع جسدي يهوي على الأرض بقوة.

ركض إلي وطلب منها أن تجلب ماء بارداً، سكبته على وجهي، فلم يؤد الكثير، فحملاني إلى المشفى بسرعة.

خلال الطريق كنت قد بدأت أستعيد وعيي ببطء، شعرت بسيارة الأجرة، ثم خرجنا منها إلى الطوارئ، لقد كان يحملني.

أدخلاني الطوارئ بسرعة، هناك لمحتك! لقد كنت تسحب فحصاً ما، ربما قد لمحتني أيضاً، لست أدري، ولكنها كانت لحظات، علمت أنها ستكون مهمة جداً فيما بعد.

أجلسني الأطباء على فراش، ووضعوا لي مغذي الوريد الذي بت معتاداً عليه، وبدأت أستعيد وعيي.

كنت أسرح فيما رأيت، لقد كنت هنا! ماذا تفعل بالضبط؟ ولكن أفكاري انقطعت عندما سمعتهما يتحدثان "إنه مجنون! سأنتظر إلى أن يدمر المنزل بالكامل!" "لا تقل ذلك" "يبدو أنهم قد أخرجوه من مصحة ما..."

فتحت فمي أقول بصوت ضعيف "ألين"

سمعاني رغم نقاشهما الحاد، فاقتربتُ مني تسمعني أقول
”ألين، أين هو؟“

فقال ”إننا نريده أيضاً أكثر مما تظن“

انزعجتُ من تصرفات زوجها، فطلبتُ منه مغادرة الغرفة
لتبقى وحدها إلى جوارى، فلم يمانع أبداً، وأقفل الباب خلفه.

وقفتُ إلى جوارى وقالت بصوت ملؤه الحنان ”عزيزي...“
ولكنني قاطعتها فوراً ”أنا لست عزيزك، أنا لست ابنك“

تراجعتُ مما قلت، ولكنني تابعت ”لست أدري ماذا حصل معه
ولا أريد أن أعرف، كل ما أعرفه أنني لا أريد أن أعيش حياة شخص
آخر“

طُرق الباب، وفتُح، فكنتُ أنت! يبدو أنك رأيتني أدخل
محمولاً في الطوارئ، فرغبتُ أن تطمئن علي، وقد قطعت نقاشاً كنت
أتمنى أن ينقطع.

قلت ”لقد ظننت أنك هو! هل أنت بخير؟“

أشرتُ بالإيجاب، فقلتُ ”هل أستطيع الدخول؟“

كان تصرفك مؤدباً وخلقاً جداً، يبدو أن منظري كان على درجة
كبيرة من التأثير! أشرتُ بالإيجاب فتركّتنا وحدنا.
جلستُ إلى جانبي وقلتُ ”تبدو شاحباً“

قلتُ "أنا بخير"

"هل تحب أن تتحدث عما جرى؟"

قلتُ "لم يحدث شيء، لا تقلق"

يبدو أنني لم أكن على ما يرام، قلتُ لي "يفضل أن تمدد رأسك،

سيكون ذلك أفضل"

ساعدتني على التمدد بكل عناية، لست أدري كيف كنت هنا في

الوقت والزمان المناسبين! فتذكرتُ أنك كنت تسحب فحماً ما، فقلتُ

"ماذا تفعل هنا؟"

قلتُ ببساطة "فحص روتيني لا أكثر" ثم تابعت قائلاً "لقد عاد

اللون إلى وجهك"

قلتُ "شكراً"

عندها نهضتُ قائلاً "لن أثقل عليك، أردت الاطمئنان فحسب،

أراك غداً"

استوقفتك قائلاً "قد لا أحضر إلى الجامعة غداً"

"حسناً، بعد غد، تستطيع أن ترتاح"

"ربما لا أحضر أبداً"

سكتنا، نظرتُ إلي بهدوء فترة، ثم اقتربتُ مني، ونزعت قلادة

كنت ترتديها، ووضعتها حول عنقي ثم قلتُ "خذ هذه"

نظرتُ إليها، إنها ليست من الذهب أو الفضة، ولكنها متقنة الصنع، رسم عليها قارب جميل بعناية، فقلت "ستعيدها إلي غداً في الجامعة" ثم خرجت.

خرجتَ وتركنتني مع أفكاري، أي نوع من الأشخاص أنت؟ أي تصرف جميل هذا الذي تفعل؟ ولماذا تقوم به معي، أنا الذي لا أتحدث إليك أبداً!

عدتُ إلى المنزل، رغم أن الوضع كان متوتراً جداً إلا أنني لم أكن أفكر فيهما، بل كنت أفكر فيك، وأمسك القلادة بعناية، إنها ثمينة بالنسبة لي بكل تأكيد.

ما إن دخلتُ الغرفة حتى بدأت الكتابة.

إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،

لا أخفيك أنني قد مررت بلحظات كنت قد خيبت كل آمالي فيها، ولكنني الآن أرى شيئاً آخر، شيئاً غريباً يثير الفضول بشكل ملحوظ.

رأيت فيك ما أخبرتني عنه نادياً، "غير متوقع"، إنك بالضبط كذلك، ولكن هذه الصفة تضيفي على شخصيتك كياناً سامياً.

لقد أعطيتني قلادتك، وهي الآن حول عنقي، جميلة ومتقنة الصنع، بل لو تعلم أنني أتمنى فعلاً أن تبقيها لي غداً عندما أعود إلى الجامعة.

لقد أثرت إعجابي وفضولي ، واحترامي بشكل كبير ، رغم كل ما
أحوم فيه من المشاكل ، إلا أنك كنت الملاذ الدائم حولي ، هل تعلم ذلك
يا ترى؟



الفصل السابع والعشرون

استيقظت باكراً، بل لم أستطع النوم جيداً الليلة، كنت أنتظر أن ألقاك، وأن أعطيك القلادة، وقد رسمتُ عدة مشاهد لذلك في مخيلتي.

تارة أقدم لك فيها القلادة فتبتسم وتقول "إنها لك" تارة ألقىك منشغلاً مع الجميع، فتتركهم عندما تراني، وتسعد لقدمي إلى الجامعة مجدداً، وتسعد باستعادتك القلادة فتقول "هذا عهدي بك"

وتارة وتارة، كل شيء كان سعيداً الليلة، وكل شيء يجب أن يكون سعيداً هذا اليوم.

ذهبتُ إلى الجامعة، رغم أنهما تعجبا من ذلك إلا أنني متأكد أنهما يظنان أنني لا أريد البقاء بينهما فحسب، بل ربما يظنان أنني لن أذهب إلى الجامعة، بل سأحوم هائماً في الشوارع كما كنت أفعل.

ليس مهماً، المهم أنني سأقابلك، ملاذي في هذه الحياة هو أنت. دخلتُ المحاضرة التي تجمعنا، وكنت جالساً باستهتار على الكرسي كالعادة، ولكنك كنت وحدك، وكانت أفضل فرصة لنتحدث معاً.

اقتربتُ منك، وما إن لمحتني حتى عدلتُ جلستك أولاً ثم نهضت، ثم ابتسمتَ وقلت "أهلاً بعودتك"

كنتُ سعيداً جداً بذلك، رفعتُ القلادة من حول عنقي وقدمتها لك، فأخذتها وفرحتَ بها، شكرتني على الأمانة، ثم سمعتُ أحدهم يناديك، فأتجهتُ إليه.

استوقفتك لأكمل ما كنتُ قد حلمتُ بتحقيقه، وسألتك "لماذا فعلت ذلك؟"

هنا ابتسمتَ ابتسامة ساخرة وقلت "للمتعة" وضحكتَ علي وتابعتَ المسير.

بقيتُ متمسراً في مكاني فترة، لقد دخلتُ كلمتك كالسكين في صدري، بل كانت ضحككتك ساخرة لدرجة شعرتُ فيها أنني أريد أن أبكي! ماذا فعلتُ بنفسِي؟ إلى أي مدى من السخرية حملتها؟

بل كيف كنتُ مثلاً لي؟ كيف توقعتُ من شخصٍ مثلك أن يكون نبيلاً؟ كيف تظن أنك تستطيع التحكم في الناس كما تهوى؟ كيف تركتُ لك المجال لتتحكم بي وتسخر مني؟ هل بت المستضعف هنا؟ هل يسخر الجميع مني هكذا؟ هل كانوا ينتظرون أن تُقدم تلك المسرحية الساخرة وتكون البطل فيها؟

تركتُ المحاضرة، ومشيتُ إلى المنزل، كل المشاعر كانت

تتضارب مع بعضها ، ”غير متوقع“ رنت في أذني كالطينين المؤذي ،
اللعنة على هذه الصفة المزعجة ، ما الجميل في أن لا تدري ماذا
سيحصل معك اليوم؟ ما الجميل في أن لا تتوقع تصرفات الآخرين؟
دخلتُ المنزل إلى غرفتي فوراً ، وأمسكتُ أوراقِي ، وبدأتُ أكتب .
أكرهك ، إنني أكرهك من أعماق قلبي ، أنت أسوأ من قابلت في
حياتي ، لا أريد أن أراك ثانية ، ولا أريد أن أتعامل معك بتاتا ، أريدك
خارج حياتي ، بأية وسيلة !
أمسكتُ الأوراق بين يدي ، وقبضت عليها بقوة أشعر برغبة
شديدة في تمزيقها ، ولكنني حاولت أن أتذكر كل مرة أغضب فيها ، وما
يجري معي ، وما قد يحدث إذا ما خرجت من هذا المنزل .
ألقيت بالأوراق على الأرض ، ووضعت رأسي على الفراش أحاول
أن أنام ، ولحسن حظي لم يأخذ ذلك زمناً طويلاً ، واستغرقت في نوم
عميق .



الفصل الثامن والعشرون

مرت ثلاثة أشهر، انقطعتُ عن الكتابة في الشهر الأول بعد الموقف الفظيع الذي حصل بيننا، ولكنني عدت إليها ثانية، أشعر بارتياح لابتعادي عنك، لقد عدتُ أكتب باسم الرمز الذي حلمتُ به، أخيراً استطعتُ الفصل بين ما أفكر فيه، وبين شخصيتك اللامسؤولة. عدتَ رمزاً أكشف له أسراري، وأسري به نفسي، وأحل به مشاكلي، عدتَ ما كنتُ أحتاج، لستَ أنتَ فعلاً، ولكن الرمز الذي صنعتُ منذ زمن.

أما ما يحصل في المنزل فما يزال الجو متوتراً، والزوج لم يجر عملية لأنفه، ظننت أن الشرطة ستتكفل به طالما يقوم على رعايتي، ولكن يبدو أنني كنت مخطئاً، لا أحد ينوي مساعدتي، وقد عانى هذان الزوجان مني الكثير.

أما عن النادي، فقد استعدت جزءاً كبيراً من لياقتي، وباتت الرياضة همي الوحيد، أريد أن أعود كما كنت، البطل الأول في الكاراتيه، صاحب القلادات والجوائز، وقد خطوت الخطوة الأولى هنا، واشتركت في الدوري، وعلي أن أواجه خمسة أشخاص. فزت في أول ثلاث مباريات، ولم يتبق لي سوى مباراتين اثنتين، وأنا في أتم الاستعداد.

بدأتُ المباراة، وقد كانت المنافسة شديدة، طبعاً فقد بقي المنافسون الأقوى، ولكن المباراة سارت بشكل جيد، وقد تمكنت من إسقاطه أرضاً في النهاية.

فزت في المباراة، ولم يتبق لي سوى منافس واحد لأفوز بالدورة، وأرتقي إلى دورة أعلى مستوى.

دخلتُ غرفة تبديل الثياب وكنتُ وحدي، نزعتُ قميصي وأدرتُ ظهري إلى البوابة، وانتبهتُ متأخراً إلى أحدهم قد دخل الغرفة، لقد كنتُ أنت.

بقيتُ واقفاً على الباب تحديق فيما رأيت، ندبة كبيرة مائلة على الجانب الأيسر من ظهري، يبدو أن هذا كان كافياً لتفهم الوضع الحرج الذي أقف فيه.

بقيتُ واقفاً لا أتفوه بكلمة، عندها سمعتُ صوت طلاب آخرين يريدون الدخول، فأغلقتُ الباب، وانفردتُ بي.

ارتديتُ قميصي بعدها فتحتُ الباب، ودخل التلاميذ ليستبدلوا ثيابهم.

بقيتُ واقفاً مكاني أنظر إليك، وبقيتُ مكانك، يبدو أنك تفكر، لا أشك أنك علمت أن هذه عملية في كليتي اليسرى، وهذا قد يمنعي من المشاركة بأي مباراة، ولكن أحداً لا يعلم هذه الحقيقة غيرك الآن، أظنك تفكر فيما تفعل.

خرج الطلاب وبقينا وحدنا ثانية، نظرت إلي وابتسمت قائلاً
"ماذا ستفعل لي مقابل ألا أخبر أحداً؟"

بدأت الابتزاز بسرعة، قلتُ "وماذا تريد؟"
اقتربت مني مسروراً بالكنز الذي حصلت عليه وقلتُ "كم
تساوي هذه المعلومة بالنسبة إليك؟"
بقيتُ ثابتاً وقلتُ "كم تريد؟"

اقتربت مني أكثر وقلتُ "هل لديك المال الكثير؟"
لم يكن لدي أي مال، وليس لدى العائلة أيضاً شيء أدفعه إليه
بكل تأكيد، مع ذلك تابعتُ أقول "ما تشاء"
ضحكت وقلتُ "أنا أعلم أنك لا تستطيع أن تدفع مالاً، فلماذا
تكابر؟"

بقيتُ صامتاً، ولكنك قلتُ "لا أريد المال"
"إذن ماذا تريد؟"

اقتربت من أذني، وهمستُ فيها "سر"
لم أفهم ما تعني، فنظرت إلي وقلتُ "سر بسر، ألتقيك اليوم في
الساعة العاشرة مساءً في المطعم المقابل لبوابة الجامعة الخلفية"
لم تترك لي الوقت للاستفسار عما يجول في خاطرك أكثر،
غادرت المكان سريعاً وتركتني في حيرة من أمري!

■ الفصل التاسع والعشرون

إلى أي مدى من اللامبالاة، من الإهمال، من الانحطاط، أما الآن
استفزاز أيضاً! إلامَ ترمي؟

بقيتُ ممدداً في الفراش، كتبتُ الكثير على الورق، ولكنني
عدتُ أكتبه إليك، لقد تعبْتُ، تعبْتُ من التناقض الواضح في تعاملك
للأمور، أنت شخص سيء، مستفز، أناني، مهمل، ومع ذلك لم أستطع
أن أبعدك عن حياتي، لماذا يتقاطع القدر معك دائماً؟

كم أتمنى لو أستطيع ألا أذهب إلى الموعد المحدد، كم أتمنى لو
تكون لدي القوة لمواجهةك، ولكن... لا أستطيع أن أترك هذا الخبر
يسري في الجامعة، سأفصل من الدوري والنادي بكل تأكيد، هذا إذا لم
أحصل على إنذار أو طرد لخرق القوانين!

هذا وقد وصلتُ أخيراً إلى عمل ما أحب من جديد، جنّت لتفسد
عليّ راحة البال، عليّ أن أواجهك مواجهة أخيرة، وأن أضع حداً لما
تفعل، يجب أن تخرج من حياتي، بأية وسيلة.



الفصل الثلاثون

الساعة العاشرة، العاشرة والنصف، الحادية عشرة إلا ربع، لم تحضر! هل هذه لعبة أخرى من ألعيبك؟ هل فضحتَ أمري في كل الأحوال؟ أم أنك علقتَ في شجار تافه مع شباب الشوارع كالعادة؟ بدأتُ أشعر بالضجر، ولكن كلما نهضتُ شعرتُ بأهمية الأمر بالنسبة لي، فجلستُ ثانية.

طلبتُ كأساً من العصير، وباتت الساعة الحادية عشرة، وفتح باب المطعم، فكنتُ أنت.

لمحتني فحضرت، وجلستُ مقابلي وقلتُ "آسف على التأخير"

شربتُ رشفة من عصيري وقلتُ "هل علقتَ في شجار ما؟"

ولكن نظراتك كانت جدية، وقلتُ "لقد كنت في العمل"

حدقتُ في عينيك الجادتين، وقد تابعتَ حينها "أعلم تماماً فكرتك عني، مهملاً، أناني، مستهتراً، لا بأس"

اتجهتُ فوراً إلى صلب موضوعنا قائلاً "ماذا كنت تريد أن تقول لي؟"

عدلتُ جلستك وقلتُ "مقابل أن أكتفم ما رأيته أريدك فقط أن تستمع إلي"

”ماذا لديك؟“

نزعتَ اللاصقَ الطبي عن أنفك أخيراً، فكانت هناك ندبة صغيرة، لا تتجاوز الثلاث سانتيمترات عرضاً.

ابتسمتُ وقلتُ ”هل هذا كل شيء؟“

”اصبر“

نظرتُ إليك، بعد ربع دقيقة بدأ الدم ينزف من الندبة، إنه جرح غير ملتئم، قلتُ ”وماذا في ذلك؟“

قلتُ ”لقد مرت ثلاث سنين، وهذه الندبة على حالها، لم تلتئم أبداً“

فتحتُ فمي لأنصحك أن تذهب إلى الطبيب، ولكنك كنتَ قد قرأتَ ذلك في عيني سلفاً وقلتُ ”لقد ذهبت إلى مجموعة من الأطباء، وعملت فحوصات متعددة، بل أخذت عنها عينة، إلى ما إلى ذلك من أنواع العلاج والقطب، ولكن لا فائدة، إنها تنزف دون أي سبب واضح“



لم أقل شيئاً، ربما لم أشعر بعد بأهمية الأمر، ولكنك قلتَ "لقد اضطررت أحياناً لأخذ وحدة من الدم بسبب النزيف، ربما يكون ما ترى قليلاً، ولكنه مستمر طول اليوم"

لم يكن لدي الفضول لأسمع المزيد، فقلتُ "ولماذا تقول لي ذلك؟" مسحتَ الدم من على وجهك، وأعدتَ اللاصق على أنفك وقلتَ "لأن كتمان السر أصعب من إفشائه"

بدأتُ كلماتك تدور في رأسي، وعدتُ إلى حيرتي من جديد، من أنت؟ هل أنت فعلاً الشخص المستهتر الأناني التافه الذي أفكر فيه، أم أنك أعمق مما أتصور؟ هل تعامل الناس باستهتار حيث أنك ترى ما هو أبعد منهم جميعاً، أم أنني أغرّ بك من جديد؟



■ الفصل الحادي والثلاثون

إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،
سر بسر، هذا كان أسلوبك، يبدو أنك مختلف عن الآخرين،
لقد أثرت فضولي مراراً.
ربما تكون فعلاً شخصاً غير متوقع، ولكنك عميق، هذا أمر بتّ
متأكداً منه.
ولماذا تختارني؟ لماذا تحملني شرك؟ هل تثق أنني لن أبوح به،
أم لأن سرّي بات لصالحك؟
ربما لن أستطيع أن أجيب عن سؤال واحد من أسئلتني، بل ربما
لا تملك أنت الجواب أيضاً، ولكن هل يهم ذلك؟
ماذا أريد منك؟ أريدك رمزاً لا أكثر، هل مازلت كذلك؟



الفصل الثاني والثلاثون

إنها المباراة الأخيرة، بانتصاري أستطيع أن أشارك في مباريات أكبر، وجوائز أفضل، أستطيع أن أعود كما كنت، البطل الأول. تجهزت جيداً للمباراة، ووقفت في الحلبة، فكنت هناك، رأيته بين الجمهور تقف في الصفوف الأولى، لقد كنت تهتف لي! أنا فعلاً لا أفهمك، ولكن وجودك كان جميلاً، أنا الآن جاهز لأقدم الأفضل.

بدأت المباراة بصوت رنين الجرس، واشتبكنا بسرعة، وعلا صوت الجمهور بالهتاف، لا بد أن صوتك قد اختلط بأصواتهم. كان القتال عنيفاً، وقد كان ماهراً، انتهى الشوط الأول دون أن يحرز أي منا نقطة مميزة، وبدأ الشوط الثاني، وجه إلي ضربتين استطعت التصدي لهما بيدي، ولكنه عندها وجه ضربة قوية إلى خاصرتي اليمنى، ولم يكن بإمكانني التصدي لها على الإطلاق، فكانت إصابة مباشرة!

سقطت أرضاً أتألم بشدة، وانتهت المباراة على ذلك، وقد وجدتني إلى جانبي فجأة تحملي على كتفك وتهرع بي إلى غرفة داخلية تطمئن بها علي.

لقد كنتَ قلقاً، وقد شحب وجهك بوضوح، إلى أن استطعتُ
استعادة وعيي جيداً بدأتُ أسمع ما تقول "آدم! آدم! هل أنت بخير؟
هل تسمعني؟ هل أنت بخير؟..."
"أجل أنا بخير"

أجلستني على كرسي وقد حضر المدرب وامتلات الغرفة بأناس
لم أكن أعرفهم، الجميع قلق علي، ولكن قلقك كان مختلفاً.
طمأنتُ الجميع، ولم يمض وقت حتى استطعتُ الوقوف على
قدمي ثانية، أريد العودة إلى المنزل، أريد أن أجلس وحيداً.
تركني الجميع أخرج من الغرفة يشعرون بالأسى لما جرى،
ولخسارتي المباراة، ولكنك الوحيد الذي لحق بي خارج الغرفة،
وخارج المبنى، ما تزال قلقاً.

استوقفتني لتقول "ألن تذهب إلى المشفى؟"
"أنا بخير"

"اصدقني القول، ما مشكلة النوبة؟"
لم أقل شيئاً.

"إنها عملية في كليتك اليسرى، ما كانت المشكلة؟"
لم أقل شيئاً.

"هل تعمل أم لا؟"

كان سؤالك مباشراً وقلقاً، ولكنني قلتُ ببساطة "ليست لدي
كلية يسرى"

لم تتحمل ما سمعت، وقلتُ باضطراب شديد "فلنذهب إلى
المشفى، يجب أن تطمئن على كليتك اليمنى!"
"أنا بخير"

"ليس صحيحاً! ليس من المفترض أن تتعرض لضربة كهذه، لقد
كانت شديدة ومباشرة!"
"أخبرتكَ أنني على ما يرام!"
"ستذهب عنوة"

نظرتُ إليك بانزعاج وقلتُ "ومن تظن نفسك؟ أنت تعامني كوالدتي"
وأخيراً استعملتُ سلاحك الأخير "إذا لم تذهب معي الآن إلى
المستشفى وحالاً سأخبر المدرب بكل شيء"
لم أستطع أن أقول شيئاً، إنه جاد جداً.
بقيتُ صامتاً تنتظر ردي على ما قلتُ، ابتسمتُ وقلتُ "ولكنني
سأفشي سرّك حينها"
"ليس مهماً، افعل"

كان سري أكبر وأهم من سرّك بكثير، ما تزال قادراً على فعل ما
تشاء بي.

أمسكتُ يدي بقوة وسحبتهني معك إلى أقرب مشفى، ولم أقاوم.

الفصل الثالث والثلاثون

أجريت فحوصات وصوراً متعددة في المشفى، ولم يظهر أي تأثير سلبي على عمل الكلية اليمنى.

ارتحت كثيراً، وكأنك صاحب الكلية المتضررة لا أنا.

خرجنا من المشفى وقد غربت السماء منذ ساعات، جلسنا في الحديقة واشتريت عصيراً لكينا.

كان الارتياح بادياً عليك، بينما ما زلتُ منزعجاً، حاولت أن تتقرب إلي أكثر، أن تفهم ما أشعر، ساعة دون فائدة، كنت تتحدث فقط، وكنتُ أمسك بعلبة العصير أحقق فيها.

لم أغادر، ولم أتحدث، كنتُ فقط جالساً، فقط صامتاً، لست تدري ما أريد، كما أنني لستُ أدري ما أريد.

أخيراً شعرت أن الحديث الجانبي لن يحسن الوضع، فنظرتُ إلي مباشرة وقلتُ "ما الأمر؟"

لم أنطق، فرفعتُ العصير من بين يدي حيث كنتُ أحقق، فنظرتُ إليك، فأعدتُ السؤال "ما الذي يزعجك بالضبط؟"

أخيراً قلتُ "لقد خسرت"

ابتسمت ابتسامة مريحة، من الجميل أنك لم تسخر من شخص

يفكر في المباراة بدلاً من التفكير في سلامته اللحظة، ولكن المباراة كانت
تعني لي الكثير، كانت تعني لي الخروج من دائرة مزعجة، العودة
إلى الحياة الحقيقية، العودة إلى كل ما كنتُ أحب في الحياة، أريد
حياتي، وهنا توقفتُ في مرحلة مبكرة جداً.

أعدتَ العصير إلى يدي وقلتَ "لقد كانت المباراة رائعة، لا أشك
أنك قادر على الفوز"

"ولكنني لم أفز"

وتوقفتُ عن الكلام، أي حرف كان سيذرف معه دموعاً لم أريد
لأحد أن يراها.

وقفتَ وقلتَ "لا مشكلة في البكاء"

"لا أريد لأحد أن يراني أبكي"

جلستُ على الكرسي وأدرتَ ظهرك إلي، وقلتَ "ها أنا لا أنظر،

تكلم فقط"

بقيتُ صامتاً تنتظر بكل صبر ما سأقول، وفعلاً انذرفت دموعي

عند أول كلمة "لقد كنتُ بحاجة إلى الفوز، كنتُ أحتاجه..."



من الواضح أنني كنتُ أبكي ، ولكن لم يكن لدي مانع الآن طالما لم
تكن تنظر، قلتَ "أي حاجة بالضبط؟"

"كنتُ بحاجة إلى كل شيء في المباراة، المكافأة، الترقى، أريد أن
أصل إلى المباريات الدولية، هناك أنتمي فعلاً"
"لقد كنتُ بطلاً دولياً"

"لقد فزتُ وحصلت على كأس نوادي القارات لثلاث سنوات
متتالية، أريد أن أستعيد كل ذلك"

"خسارتك في هذه المباراة لا تعني أنك لن تستعيد ما كنتُ عليه،
تستطيع المشاركة مرة ثانية، سيكون كل شيء على ما يرام"
"لم أكن لأخسر مباراة بسيطة كهذه"

"حتى وإن بات الوضع أصعب، فإنه لا يعني أنه مستحيل"
"مسحتُ دموعي، ثم قلتُ "ما هو كتابك المفضل؟"
تفاجأت من سؤالي، ولكنك أجبت سعيداً "هناك كتاب يتحدث
عن أساطير الحضارات، أحب قراءته كثيراً، فهو مترجم إلى عدة
لغات"

"هل تعبرني إياه؟"

"بكل تأكيد"

"الآن"

فكرت قليلاً وقلت "إنه مع نادية الآن"

سكتنا معاً ثم قلت "أريد كتاباً الآن"

فكرت وقلت "ولكن المكتبات مغلقة الآن"

"أعزني كتاباً"

سكتت، نظرت إليك وسألتك "ألا تملك غير ذلك الكتاب؟"

"أحب القراءة، ولكنني أستعير من المكتبة العامة، ليس لدي

كتاب غير الذي ذكرته لك"

بدأت أفكر، إنك تعمل في المساء وتدرس في الصباح، سألتك "مع

من تعيش؟"

"أعيش وحدي"

"ألهذا تعمل؟"

"إنه أمر طبيعي، ألا تفعل ذلك؟"

أشرت بالنفي، يبدو أن حياتي مختلفة عن الجميع، فسألتني

"مع من تعيش؟"

لم أرد أن أطيل الشرح، أجبتك اختصاراً "مع والدي"

قلت متعجباً "أما زلت تعيش معهما؟"

نهضت قائلاً "صدقني ليس خياراً، أنا مضطر لذلك"

بدأت أسير فلحقت بي إلى أن وصلنا إلى مفترق الطرق، طلبتُ

إليك أن تعود إلى منزلك ، فقد أصبحتُ على ما يرام ، وعندما بدأتُ

تسير مبتعداً عني ناديتك "إبراهيم!"

توقفتُ والتفتُ إلي ، فقلتُ "شكراً"

ابتسمتُ ابتسامة سعيدة ، وقلتُ "هذه أول مرة تنادي فيها

اسمي ، أنا سعيد لسماعه منك"

فعلاً كانت تلك أول مرة ، ولكنني لم أتخيل أن تركز في الأمر إلى

هذه الدرجة.

عدنا للمسير ثانية كل في اتجاه.



الفصل الرابع والثلاثون

دخلتُ غرفتي أنظر في الرفوف، هناك بعض الكتب، اقتربتُ منها، ولكنني علمتُ الآن لماذا لم أقرأ منها إلى الآن، كلما نظرت إليها، كلما اقتربت منها أو حاولت لمسها انتابني شعور غريب باقتراب الموت.

كلما نظرت في هذه الكتب شعرت بروح صاحبها تحوم حولي، فخفت من لمسها، بل تعجبت كيف يتركان لي الغرفة كاملة لأستخدم كل ما فيها، ألا تهمهم ذكراهم؟

نظرت في العناوين، إنها متنوعة إلى حد كبير، بل يبدو أنها تتفاوت في الفئات العمرية أيضاً، يبدو أنه كان من النوع المحافظ. ترددت كثيراً في فتح إحداها، ولكنني فعلت، وتمددت على الفراش أقرأ إلى أن غلبني النوم.

نمت الليلة دون دموع، لقد هدأت بطريقة ما، لست أدري ما الذي كنت أحتاجه، ولكن يبدو أنك قد أعطيتني إياه.



الفصل الخامس والثلاثون

ذهبتُ إلى الجامعة اليوم التالي، وكنتُ أسير في ممرات الجامعة عندما ناديتني وركضت إلي.

قدّمتَ إلي الكتاب، إنه كتابك المفضل "أساطير الحضارات"

نظرتُ إليك متعجباً وقلتُ "ألم يكن مع نادية؟"

"لقد أخذته منها اليوم صباحاً"

"هل أعادته إليك؟"

"لم تكن تقرأه بشكل مستمر، فاستعدته منها"

تعجبتُ لما فعلت "كيف تأخذه منها قبل أن تكمله وتعيده

بنفسها؟"

"لقد أردتَ أن تقرأه"

"ولكن..."

"خذه فحسب"

أخذتُ الكتاب من يدك وسألتك "ألم تنزعج من تصرفك هذا؟"

"ولماذا تنزعج؟ إنه كتابي وقد بات عندها وقتاً طويلاً"

"هل تعلم أنك ستعطيني إياه؟"

"نعم"

”أنت غريب الأطوار“

ضحكتَ وقلتَ قبل أن تغادر بسرعة ”المهم أن يعجبك“

نظرتُ إلى الكتاب بين يدي، إنه فعلاً غريب الأطوار، أحب أن

أعلم أي نوع من الكتب يفضل

عدتُ إلى المنزل وكلي شوق للقراءة، قرأتُ الكثير، الكثير،

ولكن ياللعجب، إن الكتاب... ممل.



الفصل السادس والثلاثون

أنهيتُ قراءة الكتاب في يوم واحد، رغم أنه لم يكن النوع الذي أفضل من الكتب، إلا أنني كنتُ عازماً على إنهائه وإعادته بأسرع فرصة. شخصية غريبة غير متوقعة مثله ظننتُ أنه يحب كتاباً كثير المغامرات، ولكنني دهشت كثيراً بكتابه المفضل، أظن أنه غير متوقع إلى حد أكبر مما تصورت.

بعد قراءتي للكتاب كان لزاماً علي أن أكتب، إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،

لقد أعرتني الكتاب، وقد كان ذلك لطفاً كبيراً منك، ولن أنسى أيضاً أنك كنتَ قلقاً علي بعد المباراة، هناك بعض الأمور التي باتت تجمعنا أكثر بشكل غريب.

أما عن الكتاب، فقد ظننتُ أنني ربما أستطيع فهمك به أكثر، ولكنني كنت مخطئاً، لقد زدتَ تعقيداً، ولم أعد أفهم منك شيئاً على الإطلاق.

أخذك الكتاب من صديقتك وإعطاؤه لي كان تصرفاً جريئاً، هل سببتُ المشاكل بينكما يا ترى؟

وضعتُ القلم على الطاولة، إن نادية تعلم تماماً ما جرى، أستطيع أن أسألها إذا ما كان شيء كهذا قد أزعجها.

الفصل السابع والثلاثون

ذهبتُ إلى النادي، وقد حملتُ الكتابَ معي، وبحثتُ عن نادبة إلى أن وجدتُها تتدرب على أجهزة اللياقة.

قدمتُ لها الكتابَ فنظرتُ إلي وقالت "هل أنهيتَ قراءته؟"
"نعم"

ابتسمتُ مندهشة "هذا مذهش! يبدو أنه قد نال إعجابك"
"ألم يعجبك؟"

ضحكتُ وقالت "لم أستطع أن أنهي قراءته، كلما بدأتُه كان هناك كتاب آخر أريد أن أقرأه بدلاً منه"
"ها أنا أعيدُه لك، وآسف على ما جرى"

"ليس عليك أن تعتذر أبداً، أعده إلى إبراهيم، لربما أعاده إلى مكتبه أخيراً"

"أنت لا ترغبين في قراءته"

"ليس من النوع الذي أفضل"

"إنه كتاب ممل"

نظرتُ إلي متعجبة، لقد أنهيتُ الكتابَ في يوم واحد وها أنا أقول عنه إنه كتاب ممل! فقلتُ "أنهيته في يوم واحد لأنني أردت ذلك، ولكنه كتاب ممل"

ضحكتُ ضحكة خفيفة وقالت "أعده إليه، إنه كتابه المفضل"
لقد تجنبتُ الحديث أكثر من ذلك، هل بتُّ أيضاً شخصية غير
متوقعة؟



الفصل الثامن والثلاثون

التقيت بك في المحاضرة، وقدمتُ إليك الكتاب وقلتُ "لقد أنهيته"

فرحت كثيراً لذلك، وقلت بكل حماس "هل أعجبك؟"

"نعم، إنه غريب جداً، لم أر كتاباً مثله"

"لقد قرأته أكثر من عشر مرات، غريب هو عقل الإنسان،

يخلق الأكاذيب ثم يصدقها"

ابتسمتُ ابتسامة خفيفة شعرتُ فيها أنني قد فهمت القليل مما

تفكر.

هكذا وقد بتُ التقيك كثيراً، لقد تقاربنا، وتعارفنا، لم تعد كما

ظننتُ، أني لن ألتقيك بعد أبداً، لقد بتنا أصدقاء.

جلسنا معاً نتناول الغداء، بعد حديث خفيف قلتُ لك "هل

تعلم، عندما التقينا أول مرة ظننتُ أنني لن أراك بعد أبداً"

ولكنك قلتُ "ولكنني كنتُ على يقين أننا سنلتقي"

نظرتُ إليك متعجباً، فقلتُ "عندما كنتُ أمام الشاطئ، وحضر

المزعمون ليسترجعوا نقودهم، كنتُ تظن أنني نسيت ذلك اليوم،

ولكنني كنتُ على يقين أننا سنلتقي"

”لماذا؟“

شربتَ العصيرَ وقلتَ ”ربما كان حديساً“

”أنا جاد، كيف عرفتَ أننا سنلتقي؟“

ضحكتَ وقلتَ ”أنا أوْمنُ بأمور غريبة، لستَ مضطراً للاستماع

إليها“

”أريد أن أسمع، هيا أخبرني“

ابتسمتَ ونظرتَ في كأسك، فكرتَ كثيراً قبل أن تقول ”هل كنتَ

تفكر بي؟“

لم أصدق أنك تقول ذلك، لم أستطع حتى أن أخبرك أنني كنتُ
أفكر فيك طول الوقت، بل كنتُ أكتبُ إليك بكل صدق.

قلتَ ”بينما كنتَ تظن أنك تفكر بي دون أن أفكر بك، كنتَ

أوْمنُ أنني أفكر بك وأنت تفكر بي، هذا كل ما في الأمر“

”وكيف تعرف ذلك؟“

”حدس“

لم أكن مقتنعاً، ولكن الحديث انتهى على هذا النحو.

هل سأكتبُ إليك من جديد؟ بعد كل ما سمعت، وبعد انعقاد

صداقتنا، هل علي أن أكتب على الورق الذي لن تقرأه، أم أنني الآن

قادر على مبادرتك أطراف الحديث مباشرة؟

الفصل التاسع والثلاثون

كان الجواب على تساؤلي سريعاً، فما إن وصلت إلى المنزل حتى أمسكت القلم وعادوت الكتابة.

إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً، بل إلى من بات صديقاً مقرباً لي،

لقد التقينا مراراً، وها نحن الآن أصدقاء.

لم أكن أتصور ذلك، بل لم أكن أتصور أنك كنتَ تتوقع ذلك، يبدو أنك ذو حدس قوي، ويبدو أنني سأستمر في الكتابة، فما يزال هناك الكثير مما لا أستطيع قوله صراحة.

ربما كرهتك في فترة ما، ولكنني الآن بت أفهمك، ربما أصبحت مفاجأتك أقل، أو أنها باتت متوقعة أكثر بالنسبة لي، ولكنك ما زلت الشخصية الغير متوقعة، والتي أعلم تماماً الآن لم تحبها نادية.

احتجت بعض الوقت، وعديداً من الفرص، كما احتجتها أنا.

أتمنى فعلاً أن تكون صداقتنا قوية كفاية لتصمد عبر الزمن، فلا أريد أن أخوض التغيير ثانية، أحب ما أنا عليه الآن، أحب أن أظل على ما أنا عليه، لا أريد أن أبدأ ثانية، أريد أن أتابع...

الفصل الأربعون

لم يتغير الحال في المنزل، كنتُ غالباً ما أجلس في غرفتي، أقرأ كتاباً، أو أراجع محاضرة، أو أكتب إليك، أما هما فكانا على حالهما، أو حسب ما أظن، فلم يكن هناك احتكاك بيننا.

اعتدتُ على النظر في أنفه دون أن أبالي، اعتدتُ على أن أتناسى الفاعل والنتيجة، كان علي أن أتابع.

كنتُ أضع رأسي على الوسادة أحاول النوم عندما سمعتُ أصواتاً في المنزل، سعال، التالفة أقوى من سابقتها، خزائن تفتح وتغلق بانفعال، تراطم كؤوس زجاجية صغيرة، يبدو أنها قوارير أدوية. لم يعد الوضع يحتمل، حتى وإن بقيتُ في الغرفة فلا أمل لي في النوم.

فتحتُ الباب فإذا به يجلس على الأرض من شدة السعال، وقد بدأ يعاني من ضيق شديد في التنفس، بينما كانت تبحث في الخزائن عن دواء، يبدو أنها تعلم تماماً عم تبحث.

شعرتُ أن الوضع كان سيئاً، وأنه لن يتوقف عن السعال إلا بالدواء الذي تبحث عنه، اتجهت إليها وسألتها عما يجري، فقالت مرتبكة "كنتُ أكيدة أن الدواء لم ينفذ بعد، ولكنني لا أجده"

قلتُ لها "اكتبي اسم الدواء، أستطيع أن أجلبه بسرعة من الصيدلية المجاورة"

في لحظات أعطتني علبة الدواء الفارغة، واتصلت بالإسعاف، وخرجتُ بسرعة من المنزل إلى الصيدلية المجاورة.

اشتريتُ الدواء، وعدتُ إلى المنزل، كان بخاخاً لم أكن أعلم أنه يستعمله طول الوقت، استنشقه وسرعان ما سار مفعوله.

توقف السعال، وعاد يتنفس بهدوء، وبعد عشر دقائق وصلت سيارة الإسعاف.

أخذناه إلى الطوارئ للاطمئنان عليه، وقد تحسن حاله جداً، وعدنا إلى المنزل بعدها.

عدت إلى فراشي، وأغمضت عيني لأنام، فطرق الباب، وفتحه فتحة صغيرة ليطل بها برأسه فقط.

نظرتُ إليه فقال "شكراً"

قلتُ "لا شكر على واجب"

أغلق الباب.

ربما كان أصغر حوار يمكن أن يدور بين شخصين، ولكنه كان وافياً.

■ الفصل الحادي والأربعون

تحدد موعد حفل مسائي في الجامعة، وكان علي أن أجهز ثوباً رسمياً لها.

فتحتُ الخزانة أبحث عن ثوب مناسب، ولكنني لم أجد.
جلستُ إليها وسألتها إذا كان بالإمكان أن أشتري ثوباً ما للحفل، ولكنها عرضت علي أن تخطيه بنفسها.
لست أدري كيف سيكون الثوب، ولكن كان لدي الاستعداد الكامل للتغيب عن الحفل إذا ما كان الثوب غير لائق.

أخذتُ القياسات المطلوبة، وانطلقتُ لتشتري القماش.
كان كل من إبراهيم ونادية يتجهزان أيضاً، من الطبيعي أنهما سيكونان معاً، أما أنا فلم يكن لدي مرافقة، ولكن هذا لم يكن أمراً أساسياً في الحفل على كل حال.

اقترب موعد الحفل أكثر فأكثر، وكنتُ أشعر أن نادية تقوم بتجهيزات كبيرة، فالحماس باد عليها.

أظن أن تجهيزات كهذه أكثر تعقيداً عند الفتيات، فكل ما احتجته هو أن أطلب ثوباً ملائماً، وأظن إبراهيم يفعل الشيء ذاته، لدي فضول كبير لأعلم ما يفعل الفتيات في كل هذا الوقت؟

دخلتُ المنزل فإذا بالثوب قد بات جاهزاً، إنه معلق بشكل أنيق، لا أصدق أنها خاطته بنفسها!

قدمتُ إلي وقالت "هل أعجبك؟"

قلتُ "إنه جميل، هل خطته بنفسك؟"

أشارت بالإيجاب ثم قالت "ظننت أن اللون الأسود هو الأنسب لبشرتك البيضاء، ووضعت لمسات حمراء قاتمة في بعض الزوايا، كل شيء معد"

حملتُ الثوب، وعرفتُ أن قياسه ملائم تماماً لي، قالتُ "جربّه"

"إنه يناسبني بكل تأكيد"

"أريد أن أراه عليك"

ارتديتُ الثوب وقد كان ملائماً جداً، لم يكن لديّ حماس كبير للحفل، ولكن شيئاً ما في هذا الثوب جعلني أشعر أنني أريد أن أكون الآن في الصالة.

فرحتُ كثيراً بعملها، فسألتها "هل كنت تخيطين دائماً؟"

أجابت "كل الثياب في خزانتي هي خياطة يدي"

لم أكد أصدق "هل هذا صحيح؟"

أشارت بالإيجاب.

لم أكن أعلم أنها ماهرة إلى هذه الدرجة، لطالما نظرتُ إليها على

أنها عجزت تحتاج إلى العناية، لم أتخيل أنها قادرة على القيام بشيء كهذا.

طلبتُ إليَّ أن أعطيها الثوب حتى تضعه بعناية في الخزانة، فأعطيتها الثوب وقلتُ لها "شكراً جزيلاً"



الفصل الثاني والأربعون

يوم الحفل.

كان الحضور كبيراً، والجميع متألّقون، كل الثياب رائعة، كل الروائح عطرة، الجميع سعداء، معظمهم يمسك بيد صديقه، ولكنني لم أكن الوحيد الذي يسير وحده.

ربما كان معظمهم يظن أنني أنتظر صديقتي، ولكن الحقيقة كانت مختلفة.

لمحتُ أميرة تقترب من بعيد، إنها تتجه إليّ، إنها رائعة الجمال، ثيابها براقّة، وتحمل محفظة صغيرة بلون الحذاء، وشعرها أسود مزركش بالحليّ، إنها... نادية.

اقتربت بخطوات أنثويّة شفافة، فرحتُ كثيراً لاستقبالها، ولكنها سرعان ما سألت "هل رأيت إبراهيم؟"

ربما شعرتُ بخيبة أمل، ربما شعرتُ بالغيرة، إنك محظوظ جداً باسمك يرن بين شفّتيها باهتمام كبير.

أعادت السؤال "هل رأيت إبراهيم؟"

قلتُ "لا، ليس بعد"

"لقد تأخر"

”سيحضر بالتأكيد، هل تشربين شيئاً ما؟“
”حسناً“

شربنا العصير معاً، وبدأ الرقص الثنائي، أغنية تلو أغنية،
مرت نصف ساعة، اتصلت بك ولكن لا أحد يرد!
”إنه في الطريق، لابد أنه قريب“ حاولت أن أطمئننها، ولكنني
أعلم أنني أيضاً لست مرتاحاً.

بعد ربع ساعة أخرى قمتُ بالاتصال بنفسي، فلم تجب.
مرت ساعة كاملة، لم تحضر، ولا مجيب على الهاتف.
بات الوضع متوتراً قليلاً، مرت ربع ساعة أخرى، نظرتُ نادية
إلي تسأل ”هل ترقص معي؟“

لقد كنتُ محظوظاً جداً، ربما كان غيابك حسنة لي، لم أمانع
أبداً، وبدأنا الرقص بهدوء على الأغنية الرومانسية.

هل أفعل الشيء الصحيح؟ ماذا إذا ما دخلت الآن؟ هل أسباب
مشكلة كبيرة، أم أنني فقط أقوم بتسلية نادية ومواساتها؟ هل أفعل
ذلك فعلاً؟

سألتها ”لماذا طلبت إلي أن نرقص؟“
تنهدت ثم قالت ”لقد تعبتُ كثيراً في تحضير الفستان والمكياج،
خسارة أن يذهب ذلك هباءً“

توقفتُ عن الرقص فوراً، نظرتُ إليّ وقد تغيرت ملامح وجهي
تماماً، حاولتُ أن تقول شيئاً ما، ولكنني وضعت إصبعي على فمها
وقلت "يجب أن لا نفعل ذلك"
تركتُ الحفل كاملاً واتجهت إلى المنزل.



■ الفصل الثالث والأربعون

ما هو الجواب الذي كنت أنتظر؟ أنها كانت ترغب في مراقبتي طول الوقت؟ أنها كانت تريدني ولكنها كانت تسير معك قبلي؟ أنها تريد أن تتركك من أجلي؟

كم أنا شخص سيء، ربما لم يكن جوابها لطيفاً، ربما شعرتُ أنني مجرد احتياط ليس إلا، ولكن لم يكن علي أن أكون أكثر من ذلك. بم تفكر الآن؟ ماذا ستفهم من تصرفي هذا؟ وماذا إذا ما علمتُ بما جرى؟ أوه، لقد وضعتُ نفسي في مشكلة كبيرة، ليتني لم أذهب إلى الحفل أساساً.

تذكرتُ حينها أنك لم تحضر، ولم ترد على الهاتف، رفعتُ الهاتف واتصلتُ ثانية، لم ترد.

المشكلة أنني لا أعرف أين تسكن، ولا أستطيع أن أطمئن عليك بأسلوب آخر، لست أدري ماذا أفعل، هل حدث لك مكروه يا ترى؟ لم أستطع النوم الليلة، بل كنتُ أتصل بين الحين والآخر، لربما أجبتني، لربما كنتُ تضع هاتفك في مكان لم تنتبه عليه، لربما كنتُ نائماً، أتمنى.

اتصلتُ عدة مرات بمحاولات يائسة، ولكن واحدة من تلك

المحاولات نجحت خلاف كل التوقعات!

"إبراهيم، إبراهيم؟"

سمعتُ صوتك ضعيفاً وكأنك تستيقظ من نوم عميق "من يتكلم؟"

"أنا آدم، هل أنت بخير؟"

"بخير، كم الساعة الآن؟"

"إنها الثالثة من منتصف الليل، هل أنت نائم؟"

"إنها الثالثة من منتصف الليل، ماذا تظن أنني فاعل؟"

"لم تحضر الحفلة، ولم ترد على الهاتف، لقد قلقنا عليك"

"حفلة! "

"الحفلة الجامعية، لقد انتظرتك نادية كثيراً هناك"

لم تقل شيئاً، سكّت فترة، يبدو أنك لا تتذكر، قلتُ "هل نسيت

الأمر؟"

"لقد نمتُ بعد العمل مباشرة، لقد كنتُ تعباً، لم أستيقظ إلا

الآن، كيف هي نادية؟"

"قلقتُ كثيراً عليك، يجب أن تتصل بها"

"هل تظنها مستيقظة إلى هذه الساعة؟"

"اتصل بها"

"حسناً" سكّت قليلاً ثم قلتُ "هل كانت جميلة؟"

هل يحق لي أن أجيب عن سؤالك هذا، أنت تمنحني ثقة
عمياء، قلتُ بصوت نادم "أجل، جداً"
ثم أغلقنا الهاتف.



الفصل الرابع والأربعون

لست أدري ما جرى بينهما ، ولكن المياه قد عادت إلى مجاريها ، يبدو أنك قدمتَ إليها سبباً مقنعاً لتغييبك ، أو أنها اعتبرت ذلك من الأمور الغير متوقعة في شخصيتك.

جلستُ إليك أحاول أن أشعر ؛ هل تظن أنني أخونك ، ويبدو أن التوتر كان بادياً عليّ ، فقد لاحظته فقلتَ "هل حدث شيء ما؟"
"بأي شيء؟"

"لا تبدو على ما يرام"

فكرتُ قليلاً أحاول أن أبتعد كل البعد عن الحفلة ، فقلتُ
"فكرت أنني لم أزرك في منزلك يوماً ، بل أنا لا أعرف أين يقع"
ابتسمتَ وقلتَ "أنا لا أستقبل أحداً في منزلي ، إن الفوضى عارمة فيه"
كان هذا سبباً كافياً بالنسبة لي ، ولكنك قلتَ "أظن أن منزلك مرتب حيث تقيم والدتك فيه"

"أجل ، إنه كذلك"

"هل أستطيع أن أزورك يوماً؟"

نظرتُ إليك أفكر ، في وقع ذلك عليهما ، هل سيرحبان بك؟ قلتُ
"يوماً ما"

”هل تقيم حفلة في مناسبة ما؟ هل سنزورك في عيد ميلادك
مثلاً؟“

سكت، هذه المرة طال سكوتي، شعرت أن هناك خطباً ما،
ولكنني قلتُ بصراحة ”إبراهيم، هل نحن أصدقاء؟“

قلتُ ”نعم“

”هل أستطيع أن أخبرك بسر؟“

”لا مشكلة“

”أنا لا أسكن مع والدي، أنا أسكن مع عجوز وعجوزة في منزل
واحد، ولا أعرف عنهما شيئاً“

”لماذا؟“

”إنها حكاية طويلة، ولا أنوي أن أتحدث في أمرها الآن“

”ولكنك لست مضطراً إلى ذلك، أنت في العشرين“

”صدقني الأمر ليس كما تظن“

هكذا أنهيتُ ما كنت أريد أن أقول، ولكنك قلتُ ”هل تعلم لماذا“

لم أحضر الحفل؟“

نظرتُ إليك، وقلتُ ”سر بسر؟“

ابتسمتُ وقلتُ ”لقد أخذتُ جرعة كبيرة من المنوم ذلك اليوم،

ولم أستيقظ بسهولة“

”منوم!“

”أنا لا أنام بسهولة“

”لست مضطراً إلى ذلك“

”صدقني الأمر ليس كما تظن“

رددتَ إلي كلمتي، فلم أستطع أن أتابع الحديث، ثم ودعتني إلى
لقاء قريب.



الفصل الخامس والأربعون

عدتُ إلى الكتابة، إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،
إلى صديق أشعر بالفضول الكبير لاكتشافه.

سر بسر، كان أسلوبك في الحياة، هل تريد أن تتحدث إلى هذه
الدرجة؟ هل تخشى أن أفشي سرّك إلى هذا الحد؟ إذا ما كنتَ تريد
التحدث عما يجول في نفسك فبإمكانك أن تجد صدراً رحباً هنا! ألا
تثق بذلك؟

ولماذا أفشي سرّك؟ ما الفائدة التي سأجنيها من ذلك؟ هل تخشى
أن أتركك؟ هل ما قمتَ به في حياتك كان أسوأ مما قمتَ به؟ أم أنك
تريد أن تتأكد من ذلك بنفسك قبل كل شيء؟

الفضول كان أكثر ما يجمعنا، فهل سيهدأ كل ما يدور بيننا إذا
انتهى ذلك الفضول؟ هل هذا هو السبب؟

بتّ أثق بك، وبتقديرك للأمور، فأنت لست الشخص التافه
الذي كنتَ أظن، أنت أعمق مما ظننت، وسأثق بك، إنه قراري، أن أثق
بك إلى النهاية.

■ الفصل السادس والأربعون

بدأ دوري جديد للكراتيه في الجامعة، وكان علي أن أفوز فيه مهما كلف الأمر.

تدربت كثيراً، وساعدتني دوماً، وبتُّ أكثر استعداداً وقوة من ذي قبل.

أنا شاكر أنك لم تذكر أبداً شيئاً عن كليتي وعمليتي، ولم تحاول أن تثنييني عما أفعل، رغم أنني أظن أنك تخالفني الرأي، ولكنك ماتزال تحترم رأيي.

كان الدوري يتقد حماسة، وبات المشجعون أكثر، وشعرتُ أثناء المباراة أن الكثيرين قد حضروا لتشجيعي يبدو أنه قد بات لدي معجبون دون أن أعلم.

مباراة تلو مباراة، انتصار تلو انتصار، والمباراة الأخيرة الفاصلة كانت من نصيبي.

فزت بضربة حاسمة، فانطلق جميع المشجعين يهتفون: إلى الملعب، عانقتني إلى جانبك نادية، كما عانقني الكثيرون من الزملاء فرحاً، وباركوا انتصاري.

الفصل السابع والأربعون

احتفلنا بالفوز، ثم عدتُ متأخراً إلى المنزل.
رغم أن الدوري امتد عدة أيام إلا أنني لم أذكره لهما أبداً.
دخلتُ غرفتي، وبدأتُ أكتب.
إلى من ظننتُ أنني لن ألتقيه بعد أبداً، إلى صديقي المقرب.
لقد وقفتُ إلى جانبي، لقد ساعدتني، لقد كتمتُ سري، أنت نعم
الصديق.

لقد فزتُ بالدوري، لأنك دفعتني إليه ثانية، لقد حصلتُ على
الجائزة بمساعدتك، لقد جعلتُ مني سعيداً في لحظات ظننتُ أنني لن
أذوق فيها السعادة أبداً.

نعم، أنت نعم الصديق، ولن أجد صديقاً أفضل وأقرب منك،
ربما ماتزال تكتم عني بعض الأسرار، ولكن هذا ليس مهماً، كل شيء
سيحين وقته وأجله.

أما أنا، فأنا الآن أثق بك، لم يعد لدي أدنى شك في أمانتك
وصدقك وتفانيك في الوقوف إلى جانبي، فهل تثق بي كما أثق بك، أم
أنني مازلت أحتاج لبعض الاختبارات الغريبة التي تقوم بها بين
الحين والآخر؟

ليس مهماً ، حتى وإن كانت ثقتك صعبة المنال ، فإنها تستحق
ذلك ، فأنت تقدم الكثير ، وأعلم أن يوماً ما ستطلب الكثير ، ويجب أن
أكون مستعداً .
أعدك أنني لن أخذلك .



■ الفصل الثامن والأربعون

جلستُ أقرأ كتاباً بعد أن أنهيتُ الكتابة، فطرق الباب، وفتحه.
لقد انقضى وقت طويل على الحادثة ولكن عينيّ ما تزالان تقعان
دوماً على أنفه المكسور.

قال "هل لي بلحظة؟"

قلت "تفضل"

عندما أفكر في الأمر، ربما كانت هذه أول مرة يجلس إليّ فيها
في غرفتي لتتحدث بهدوء.

قال "هل تقرأ؟"

"نعم، إنها رواية"

"هل أستطيع أن أجلس؟"

"بالطبع، تفضل"

إنه حريص جداً على ألا يزعجني! ما الأمر؟

سكتَ قليلاً ثم قال "لدي شيء أحب أن أقدمه لك"

"ما هو؟"

أخرج من جيبه هاتفاً محمولاً، نظرت إليه أتساءل بما يفكر؟

ولكنه قال "لقد اشتريته من أجلك"

لم أعلم ما أقول، تذكرت أنني ذكرت شيئاً كهذا منذ مدة، أنهم لا يجلبون لي ما أحتاج إليه، أنني كنت أملك الكثير! أوه أما يزال يذكر كل ذلك؟

قلت "شكراً"

"كل الشباب يملكون هواتف محمولة، آسف أنني لم أستطع أن أجلبه لك قبل الآن"
"أنا شاكر جداً"

أخذت الهاتف فقال "إنه ليس من النوع الثمين، ولكنني حرصت أن يكون جديداً"
"إنه جيد"

"أعلم أنك كنت تملك أفضل منه"
إن لديه أسلوباً مميزاً في الكلام يقودني إلى ما يرمي مباشرة، ابتسمت وقلت له "نعم، هذا أردأ هاتف أمسكه في حياتي"
لم ينطق بأية كلمة، فلم يتوقع ردّاً جافاً كهذا، ولكنني ضحكت وقلت "ولكنه أوانه المناسب"

لم ينطق بأية كلمة، وضعت الهاتف جانباً ثم قلت "هناك الكثير مما ينقصنا في هذا المنزل، نحن لا نتحدث أبداً"
"أنت لا ترغب بذلك"

"اليوم فزت في مباريات الدوري في الجامعة، وسأشارك في
الدوري المحلي"

"هذا خبر رائع! تهانينا"

"سأعتبر الهاتف هدية فوزي، أنا فعلاً سعيد به"

"لو كنت أستطيع أن أجلب لك أفضل من ذلك لفعلت"

"أعلم ذلك، وأعلم تماماً أنه لم يكن شراء هذا الهاتف سهلاً،

لهذا سأعتني به جيداً"

وضع يده على كتفي وقال "يوماً ما ستصبح مشهوراً وغنياً،

ستشتري كل ما ترغب فيه، أنت تستطيع تحقيق كل ما تريد"

"أريد أن أكون سعيداً"

نظر إلي وقال "هذا قرارك"

أشرتُ بالنفي وقلت "أنا أعلم تماماً لم أنا هنا الآن، أنتم لستم

سعداء، يجب أن أسعدكم حتى أصبح سعيداً"

تابعتُ أقول "السعادة شيء متبادل، من بدأ بها كان الأفضل،

إذا أحببتُ أن تسعدوني فعلياً أن أبادر بإسعادكم"

فكر قليلاً ثم قال "من المفترض بنا أن نسعدك كوصيين عليك"

"أنتما لستم وصيين علي، فوالداي لم يموتا"

من الواضح أنه لم يكن يعلم ذلك، ولكنني تابعت "أنتما والداي

الآن، يجب أن تكونا سعادتي"

ابتسم بعد فترة وقال "حسناً، وكيف تنوي أن تسعدنا؟"
فتحت الدرج وأخرجت القلادة الذهبية، وقدمتها إليه قائلاً
"هذه قلادة المرتبة الأولى، إنها لكما"
تعجب لما أفعل، وحدث بالقطعة الذهبية الخالصة، ربما لم ير
مثلها في حياته، ثم قال "لقد حصلتَ عليها بنفسك، أبقها معك"
أشرت بالنفي وقلت "أنت تعلم ما نحتاج إليه، السعادة، خذها
واشتر لي بها السعادة"
بات في حيرة من أمره، لم يعد يعلم ما يفعل، أخذ القلادة وفي
يده رجفة خفيفة، ونظر إليها يتفحصها ويمتدح عينيهِ ببريقها، إنها
ذهب خالص!
كنت سعيداً بالقلادة بين يديه أكثر منها بين يديّ، إنه يمسكها
للمرة الأولى كطفل يتفحص كرة ملونة.
بعد تقليب للقلادة عدة مرات قال "سأكون حريصاً"
دخلت الزوجة عندها تقول "شاب يقف على الباب، يطلبك"



الفصل التاسع والأربعون

كان الوقت متأخراً على الزيارات، بل لم يكن أحدهم يزورني أساساً، اتجهت إلى الباب في حيرة من أمري، فكنت أنت.

رحبت بك وأدخلتك رغم دهشتي بوصولك إلى منزلي، والزيارة المتأخرة، بالإضافة إلى ملامحك التعبية الغير مطمئنة.

أدخلتك المنزل فسألتنني على الفور "هل لي أن أبيت الليلة هنا؟"
"بكل تأكيد" نظرتُ إلى الرجل وزوجته فأشارا إليّ بالإيجاب،
وقالت "أصدقاء آدم مرحب بهم في أي وقت"
شكرتها وأدخلتك غرفتي.

لم تكن على ما يرام، كنت متعباً، وشعرتُ برجفة خفيفة في
جسدك عندما وضعتُ يدي على كتفك أطلب إليك الجلوس.

قلتُ "آسف على الإزعاج"
ابتسمتُ وقلتُ "أبداً، أنا سعيد جداً بقدومك، إنها أول مرة
تدخل فيها منزلي"

"ألا أسباب لك المتاعب؟"

"أبداً، لا تفكر في الأمر، تصرف كأنك في منزلك"

جلستُ على الفراش، فسألتك "هل تشرب شيئاً؟"

قلت بصوت تعب "أنا متعب، أريد أن أنام"
من الواضح أن شيئاً سيئاً قد حدث، جلستُ إلى جانبك وسألتك
"هل حدث مكروه؟"

"أبداً، لا شيء من هذا القبيل"
لم أشأ أن أضغط عليك أكثر، ولكنك نظرت في الغرفة وقلت "أين
سنام؟"

كانت الغرفة صغيرة، والسرير لا يتسع لاثنتين، فقلت بكل
بساطة "أنت ستنام هنا، وسأذهب لأنام في الصالة"
"لا، لن أفعل ذلك"

استوقفتك عندما حاولت النهوض، وقلت لك "أنت ضيف هنا،
ستنام على فراشي، ولن أناقش في ذلك"
حاولت أن تناقش ولكنني استوقفتك ثانية، ونهضتُ من الفراش
قائلاً "أنت مرهق، سأتركك لتنام الآن"

تركتك في الغرفة وحدك، وأخذتُ معي لحافاً، وتمددتُ على
الأريكة.

لم يكن ذلك مريحاً، ولكنني لن أتركك تغادر المنزل مهما كلف
الأمْر، يبدو أن شيئاً فظيماً قد حصل، ولا تستطيع أن تتحدث بشأنه
الآن.

الفصل الخمسون

لم أستطع النوم، لم تكن الأريكة مريحة أبداً.
بعد ساعتين نهضتُ فزعاً، تذكرتُ الأوراق التي أكتب عليها
موزعة على المكتب، تخيلتُ لحظة أن عينك قد تقع على إحداها!
أسرعتُ إلى غرفتي، وفتحتُ الباب بهدوء، نظرتُ من شق
صغير فإذا بك جالس على الفراش، تحقق بشيء ما بين يديك كان أبعد
من أن ألحظه.
دخلتُ الغرفة فلم تنظر إليّ، ماتزال تحقق بما بين يديك، إنها
حبوب منومة.
كنتُ تحاول فتح إحداها لتتناولها، ولكن يدك كانت ترجف،
فصعب عليك ذلك.
اقتربتُ منك وجلستُ على الفراش أمامك وسألتك "كم حبة
أخذت؟"
فقلتُ "يجب أن أنام، لقد مضت ثلاثة أيام"



وضعتُ يدي على يديك وقلتُ بهدوءٍ "هذا يكفي"
سحبتُ المنوم ببطءٍ وسهولةٍ من بين يديك، فقلتُ "يجب أن
أنام، يجب... أن..." ووضعتُ جبينك على كتفي.
إنك ترجف، يبدو أنك صادق فيما تقول، لم تنم ثلاثة أيام
متتالية. وضعتُ يدي حول ظهرك أسندك بلطفٍ وقلتُ "ما الذي
جرى؟"

قلتُ "ما زلتُ أسمعه، إنه يبكي، يبكي..."
لم أفهم ما تقول، ولكنك ببطءٍ وتقطع بدأتِ تحدثني "سكان
المنزل المجاور... رجلان عجوزان يسكنان وحدهما... قبل ثلاثة
أيام... قامت ابنتهما بزيارة... يبدو أن لديها طفلاً صغيراً... إنه
يبكي... يبكي كل ليلة... أسمع بكاءه دائماً... أكره ذلك... أكره ذلك
الصوت... أكرهه..."
يبدو أنك أخيراً خلدتِ إلى النوم، وضعتُ رأسك بهدوءٍ على
الوسادة، إنك منهك تماماً.



الفصل الحادي والخمسون

نظرتُ إلى الطاولة، الرسائل كلها كانت هناك، مرتبة حيث أحدثها كان في البداية.

نظرتُ إلى آخر رسالة كتبها، "إلى صديقي المقرب" "أنت نعم الصديق" "أنا الآن أثق بك" "فهل تثق بي كما أثق بك؟" إذا كنتَ قد قرأتَ رسالة، فستكون هذه على الأقل، نظرتُ إليك، إنك نائم.

أمسكتُ القلم، وبدأتُ أكتب .

إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،

أنت الآن إلى جانبي، تنام بهدوء على فراشي، من المضحك أنني ما أزال أكرر أنني ظننت أنني لن ألتقيك، هذه عجائب الدنيا.

لقد تحدثت إلي، وأظن بصدق أنك قرأت الرسالة الأخيرة، وكانت ما دفعك للحديث.

لم يكن ما قلته مفهوماً، ولكنه أفضل من لا شيء، أتمنى فعلاً أن تثق بي، أتمنى فعلاً أن أحمل عنك شيئاً مما حملته عني.

سر بسر، كان أسلوبك وما يزال، وبما أنك قد قرأت رسالتي، كان عليك أن تكشف على الأقل عن السبب الذي دفعك للمجيء إلى هنا.

لقد بتُّ أفهمك، على الأقل أكثر من ذي قبل، ولكنني أعلم أنه
ما يزال أمامي الكثير.



الفصل الثاني والخمسون

فتحتَ عينيك فجأة، نظرتَ إلى المكتب، كنتُ ما أزال أكتب.
نظرتَ إلى الساعة، لقد نمتَ أربع ساعات!
جلستَ على الفراش، فنظرتُ إليك وقلتُ "لقد نمتَ جيداً"
وضعتَ يدك على جبينك وقلتُ "يبدو ذلك"
نهضتُ من المكتب لأجلس على الفراش إلى جانبك، فابتسمتَ لما
يجري، فقلتُ "أخيراً"
قلتُ "أخيراً"
"أظن أن أربع ساعات قد تكفيك يومك هذا"
"ليس من عادتي أن أنام أربع ساعات، إنه أكثر مما اعتدت
عليه"
"وكم ساعة تنام في اليوم؟"
"ثلاث ساعات"
"هذا لا يكفي!"
ضحكتَ وقلتُ "يكفي، لا بد أن يكفي"
سكتنا معاً، فنظرتُ إلى الورق على مكتبي، عندها طأطأتَ
رأسك. انتبهتُ إلى ذلك فقلتُ "أعلم أنك قرأتها"

”آسف لذلك، لم أعلم أنه أمر خاص”

أشرتُ بالنفي وقلتُ ”الذنب ذنبي، فقد كان واضحاً على المكتب”

لم أستطع أن أحمّن انطباعك عما قرأت، فقد كنتَ تطرق في

التفكير وقتاً طويلاً، لقد قرأتَ الكثير عنك، ألا تأبه بذلك؟

نهضتُ قائلاً ”سنتأخر عن الجامعة”

نظرتُ إلى ثيابك، فلم تكن مناسبة للدوام، قلتُ ”تستطيع أن

تستعير ثياباً مني اليوم” فتحتُ الخزانة، وانتقيتُ منها ثوباً

لترتيديه، شكرتني وتركتك لتستبدل ثيابك.

بعدها تجهزنا للخروج، وطلبتُ إليّ لاصقاً طيباً تستبدل به

اللاصق الذي على أنفك، فلاحظتُ أثر الدماء على اللاصق، إنك ما تزال

تنزف.

شكرتُ أصحاب المنزل على استضافتهم.

سرنا معاً إلى الجامعة، فسألتك ”إبراهيم، كيف عرفتَ مكان

منزلي؟”

ابتسمتُ وقلتُ ”إنه المنزل الذي تدخله كل يوم”

”هل كنتَ تراقبني؟”

”لا، إنها المصادفة ليس إلا”

”أين منزلك؟”

لم تقل شيئاً، فقلتُ "هذا ليس عدلاً!"

"إنه بعيد وصغير"

إنك تتهرب من الموضوع، فقلتُ "وأين سأذهب إذا ما واجهتُ

بعض المتاعب؟"

توقفتَ عن المسير، ثم قلتَ "آسف، لن أفعل ذلك ثانية"

قلتُ "الأمر ليس كذلك، لقد كنتُ سعيداً أنك حضرت"

ولكنك قلتَ ثانية "لم يكن من المفترض أن أفعل ذلك"

"قلتُ لك أن هذا غير صحيح"

تابعتَ المسير تتجه إلى قاعة محاضرتك مبتعداً عن الطريق الذي

أسلكه إلى محاضرتي، فقلتُ "لقد أفسدت كل شيء!"

ولكنك تابعتَ المسير.



الفصل الثالث والخمسون

هل هو الكبرياء؟ هل هو الغموض؟ أم هل هذه طبيعة تصرفاتك
الغير متوقعة؟

لقد قطعتُ العهد أن أثق بك، وأنت تعرف ذلك، فهل لأجل
ذلك تختبرني؟

ماذا علي أن أفعل؟ بل ماذا ستفعل أنت؟
محاضرة تلو المحاضرة، كلي أفكار مشتتة، انتظرتُ المحاضرة
التي تجمعنا بفارغ الصبر، ولكنك لم تحضر.
كان هذا ما ينقصني، أن تبتعد عني، أن أفقد كل الفرص
للاقتراب منك.

هل ندمتُ فعلاً على البارحة؟ أظنك كنتَ مضطراً لذلك، ألهدأ
تبتعد عني؟

لا أفترض أن هذا تصرفك مع نادية أيضاً، أم أنها تعرفك أكثر
مني؟

خرجتُ من المحاضرة الأخيرة أتجه إلى المنزل، سمعتُ أصواتاً
تتشاجر عند الجدار الخلفي للجامعة، شعرتُ أنه عليّ أن أسرع إلى
هناك، فكان ما توقعته.

لقد كنتَ تتشاجر مع ثلاثة طلاب آخرين، يبدو الغضب والانفعال واضحاً على وجوههم.

كان أحدهم يمسك بك، والآخر يضربك، والثالث يصرخ بصوت مرتفع بالتوبيخ والإهانات.

ركضتُ إليك فوراً للمساعدة، ولكنك استطعتَ الإفلات، وضربتَ اثنين بقوة أسقطتهما أرضاً، أما الثالث فقد غير رأيه بالقتال عندما رأني أقترُب بسرعة.

هرب الثلاثة، وقد كان وجهك مليئاً بالكدمات، كل ما قلته حينها "جبناء، يهربون وهم ثلاثة"

استدرتَ لتغادر لا تأبه بشيء، فأمسكتُ ذراعك، ألا يكفي أنني لم أرك طول الوقت، أراك مثخناً بالكدمات، ثم تغادر كأنك لم ترني. لم تستطع النظر في عيني، فعلمتُ أنك تتهرب مني، قلتُ "لماذا تفعل ذلك؟"

"ماذا تريد؟"

"لماذا تتهرب مني؟"

"لماذا تلحق بي؟"

"هذا جدال لن يؤدي إلى شيء"

"إذا ما كنتَ تريد لأحد أن يسمع حكايتك فبإمكانك أن ترويها

الآن، أنا أسمع"

”حكايتي، وما أدراك بحكايتي؟“

”من لديه الفضول ليجري خلف شخص مثلي يعلم تماماً أنه

يملك الكثير من المشاكل، إنما يريد أن يقارن بين حكايته وحكايتي“

كان هذا تحليلاً غريباً، ولكن ربما يكون على صواب، من يجري

خلف المتاعب؟ ولكنني ابتسمتُ وقلتُ ”ولماذا تتحمل عبئي دون مقابل؟

ألا تذكر، سر بسر؟“

سكتَ ثم بدأتَ تمشي، فقلتُ ”سأتبعك لأتقصّى منزلك، فإذا

كنتَ لا تريدني أن أعرفه تستطيع تغيير الطريق“

تابعتَ السير كأنك لم تسمع شيئاً، وبدأتُ أسير خلفك.



الفصل الرابع والخمسون

سرتُ خلفك طول الطريق، لم تنطق بأي كلمة، ولم تدخل أي دكان.
لم أنطق بأي كلمة أيضاً، وبقيتُ صابراً، لم نسر في طريق
مرتين، لم تدخل ممرات لتشتتني، لم تختار طرقاً فرعية، كنتَ تسير
في اتجاه واضح، وهدف معين.

وصلنا إلى سوق صغير، في الطوابق العلوية توجد شقق صغيرة،
دخلتُ إحدى الأبواب، وصعدتُ السلالم.
بقيتُ واقفاً في الخارج، إلى جانبي الأيمن محل لبيع الأثاث
المستعمل، إلى جانبي الأيسر منجرة.

لا يبدو المكان هادئاً أو مريحاً، عندها سمعت صوت نافذة تفتح
من أعلى، كنتَ هناك تشير إليّ بالصعود.

دخلتُ الباب حيث السلالم، لقد كانت قديمة ومهترئة، أحتاج
للكثير من الثقة، هل يعقل أنك تخفي لي مصيراً سيئاً في الأعلى؟
هل عليّ أن أصعد، أم أن أكتفي بما جرى اليوم؟ أستطيع العودة
في يوم آخر، أستطيع أن أتأكد أنه منزلك.

ولكن... لقد قطعتُ العهد بأن أثق بك، هل سأخالفه في أقل من
أسبوع؟ ولماذا؟

أَلَسْتُ من منحني هذه الثقة؟ أَلَسْتُ من منحني هذه السعادة؟
أَلَسْتُ السبب الأكبر في فرصتي الثانية؟

وماذا سأخسر؟ ما الذي جنيته إلى الآن سوى صداقتك؟ إذا ما
كنتُ سأخسرهما الآن فلا شيء آخر أخسره بعدها.
لا قلق، لا تردد، أنتَ هناك، وأنا قادم.

صعدتُ السلالم، كانت تؤدي إلى طابق ثانٍ، هناك بوابتان عن
اليمن والشمال، كانت البوابة الشمالية مفتوحة، فعلمتُ أنك أبقيتها
كذلك من أجلي.

دخلت الباب، ورأيتُ الشقة لأول مرة، صالة صغيرة جداً
تحوي مطبخاً صغيراً وأريكة وحيدة بتلفاز صغير أمامها.

هناك بابان، أحدهما للحمام، والآخر لغرفة النوم على ما أظن.
كان هذا كل المنزل، شقة صغيرة جداً، قديمة البناء، ولكنها
على الأقل نظيفة.

نظرت إليّ وقلتُ "ليس هناك مخدرات في الشقة، بل إنني حتى
لا أدخن"

يبدو أن الارتباك كان ما يزال واضحاً عليّ رغم كل ما شحنتُ به
نفسي من الشجاعة والثقة، لم أكن أحب أن تلاحظ ذلك، ولكنك قوي
الملاحظة جداً.

قلتَ بسخرية "كنتَ تريد أن تزور شقتي، هذه هي شقتي السعيدة، وأنت أول من يزورها، فماذا ترى؟"
سرتُ خطوتين إلى الداخل، ونظرتُ في خزائن المطبخ، يبدو أن معظمها فارغ، هناك فقط علبة للواصق طبية، وعلبة أخرى للأدوية المنومة.

أما الجدران فقد كانت ساكنة كئيبة، رغم أن الضوء يدخل الغرفة إلا أنه لا يضيء حيوية كافية على المكان.

قلتُ "ألا تعلق بعض الصور على الجدران على الأقل؟"

ضحكتَ وقلتَ "مثل ماذا؟"

"شخصية محببة"

"لا أظن أحداً مناسباً"

"صورك الشخصية"

"ها أنا هنا!"

"صور طبيعية!"

حدّثتَ بي تقول "غرفتك خالية من الصور أيضاً"

قلتُ بسرعة "إنها ليست غرفتي"

لم تعلق، قلتَ "هل تشرب الشاي أم القهوة؟"

"لا بأس بكوب من الشاي"

فتحتَ خزانةَ في المطبخ، أخذتَ منها إبريقاً ملأته بالماء ووضعتَه على النار، ثم حضّرتَ كوبين، وضعتَ فيهما ورقة الشاي، وفتحتَ علبة السكر، فكانت فارغة.

قلتَ "سأجلب السكر" واتجهتَ نحو الباب.

استوقفتك أقول "لا بأس، ليس مهماً"

ولكنك قلتَ "السكر في العلبة، أستخدمها لتبقى هناك مساحة جيدة في الشقة، سأعود حالاً"

خرجتَ من الشقة وبقيتُ وحدي.

هذه اللحظة المناسبة للعبث هنا وهناك، رغم أنني أعلم أن هذا أمر سيء، إلا أنني لا أستطيع أن أخفي فضولي.

اتجهتُ فوراً إلى باب غرفة النوم، حيث كان القفل معطلاً والباب مفتوحاً، نظرتُ في الغرفة، لحظة شعرتُ فيها أن قلبي قد توقف، ولم أعد أتنفس، جفلتُ خوفاً، إنه منظر مريب.

لم يكن في الغرفة سوى سرير واحد، يقف خلفه مجسمان من القش مرسومان على الحائط بأكمله، إنه رجل وامرأة، يمدان يديهما نحو السرير.

كان حجمهما كبيراً، والأذرع طويلة ممتدة إلى الفراش بشكل غير متناسب، وملامحهما غير واضحة، عيون سوداء، شعر من الخيوط، ابتسامة حزينة، وألوان داكنة، كان منظرهما مخيفاً.

سمعتُ صوتك خلف ظهري تقول "لقد توفيا عندما كنت رضيعاً"
استدرتُ خلفي، لابد أن وجهي كان شديد البياض، وعيناي لا
ترمشان أبداً، ولكنك تابعتَ قائلاً "لقد دخل المنزل لص، أطلق عليهما
النار، ولم يلحظ وجودي، سرق ما حملته يده، وغادر ليتركني أواجه
مصيري، أو كما قيل لي"

لم أستطع أن أنطق بأي كلمة، فدخلتَ الغرفة ووضعتَ يديك في
يد المرأة وتابعتَ قائلاً "نشأتُ في ميتم إلى أن بلغتَ الثامنة عشرة،
كنتُ سعيداً جداً بالمغادرة، فلم يكن الميتم جيداً، لم يكن لديهم النقود
الكافية، بل أظنهم قد سرقوا ما تبقى لي من النقود، وكانت معاملتهم
كمعاملة المساجين المذنبين، ولا أذكر أبداً ما كان الذنب الذي اقترفته
حتى أفقد والدي"

بدأتُ أستعيد هدوئي، إنني أسمع حكاية حزنة، عليّ أن
أستمع إليه جيداً، ولكنه نظر إلي مبتسماً وقال "هاذان والدي، إنك
أول من يلتقيهما"

لا أستطيع أن أصف شعوري حينها، أشعر بالموت يحيط
بالغرفة، ربما ظننت أنه مختل عقلياً، ولكنه لا يبدو كذلك، ربما كان
جرحه أعمق من أن أتصوره، إنه يبتسم أمامهما وكأن شيئاً لم يكن!
قلتُ "ظننتُ أنك ربما تفهمني، فأنت لا تعيش مع والديك"

لهذا جعلتني أدخل المنزل، لقد أردت أن أتعرف إلى والديك،
آسف أن أخيب ظنك، طأطأت رأسي قائلاً "والدي... على قيد الحياة"
بدت الدهشة واضحة عليك، فتابعْتُ أوضح "لقد... غادرا"
"فلماذا تعيش مع غيرهما؟"

تنهدتُ أحاول أن أشرح الأمر ولا أشرحه "عليّ أن أسكن معهما
قانونياً، إذا ما تركتهما فسأزجّ في السجن"
لم تسأل شيئاً، ولم أكمل الحديث، كان صوت الماء يغلي في الإناء
واضحاً خلال الصمت، فاتجهت إلى المطبخ، وأكملت تحضير الشاي.
خرجتُ من الغرفة ألتقط أنفاسي لأول مرة خلال خمس دقائق، ما
يزال قلبي ينبض بشدة، كيف يستطيع أن ينام يومياً بين تلك الأذرع؟
تذكرتُ حينها أنك لا تنام إلا بالدواء، ألم يعد ذلك منطقياً؟
لابد أن تصاب بالأرق في تلك الغرفة.

أكملت تحضير الشاي، وجلبت إليّ كأس، احتسيتُ منه القليل
أنظر إلى التلفاز.

أمسكتَ اللاسلكي وفتحته.

خطر ببالي فوراً أن أول محطة سيفتح عليها التلفاز هي المحطة
التي تشاهدها دائماً، فأمعنتُ النظر، وعرفتُ المحطة، إنها محطة
للأخبار.

هذا لا يتناسب أبداً مع شخصيتك، هذه أخبار مملة عالمية،
تنقل الحروب والقتلى في معظم الأحيان، لا بد أنك كنتَ تقلب بين
المحطات قبل أن تغلق التلفاز، ومللتَ عند هذه المحطة.
قلّبتَ بين المحطات، فكانت هناك دعاية لمعجون أسنان، عندها
سألتني "هل نمت أسنان العقل عندك؟"
أجبتُ "اثنان منها"

ابتسمتَ وقلتَ "لقد نمت أسناني كلها، وقد آلمتني كثيراً،
ولكنني لم أملك النقود الكافية لنزعها كما يفعل معظم الناس" ثم
تابعتَ قائلاً "هل تعلم، إن أسنان العقل تدعى مسببة المتاعب، فهي
مؤلة وتظهر متأخرة، ويلجأ معظم الناس إلى خلعها والتخلص منها،
أظن أنني مثلها، فمعظم الناس يلقبونني بمسبب المتاعب، ويرجون
التخلص مني، لذلك تحمّلتها رغم كل الألم، وقد نمت جميعها الآن"
لم أستطع أن أنطق بحرف واحد، هل ما سمعته كان مؤسفاً؟



الفصل الخامس والخمسون

بدأ الشتاء، وهطل المطر، من بعده هطلت الثلوج، كنت أقضي معظم اليوم في الكتابة.

إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،
لقد بتنا نزور بعضنا، وتبادل أطراف الحديث، حديث تلو الآخر، وما تزال حكايتك غامضة.
أمر تخشاها، أمور تبتعد عنها، مواقف تغضبك، وأخرى تتجنبها.

لست أدري إلى أين نذهب، وإلى أين سنصل، ولكنني سعيد، هناك إحساس ما يقودني إلى المتابعة، وأن أثق بك أكثر فأكثر.
ليس مهماً ما لا أعرف، المهم أنني أعرف ما لا يعرفه أحد، ويوماً ما ستتضح الصورة كاملة، أنا أكيد.
طويت الورقة، ثم نظرتُ في الغرفة، لقد اعتدتُ عليها رغم أنني أعلم تماماً أنها ليست غرفتي.

لا يزال هناك احتمال ضئيل أن صاحبها قد غادرها إلى مكان آخر فحسب، ربما يعود يوماً.

لست أدري لماذا أقرر ذلك الآن، ولكنني بدأت أفتش الغرفة درجاً درجاً، وزاوية تلو أخرى، لعلني أجد صورة ما تدل عليه.

مضى يومي في البحث الدقيق ، ولكن لا فائدة.
ليس هناك من أثر لأي صورة أو حتى رسمة لصاحب الغرفة ،
لقد تخلصا من كل أثر له ! ما الذي يدفعهما إلى مسح كل ما يتعلق به
إلى هذه الدرجة؟ ولكن الأدوات كلها مكانها ، الصور فقط قد اختفت.
هل أسأل؟ هل يحق لي أن أفعل؟ لقد بتنا على علاقة طيبة على
ما أظن ، ولكن هل هي كافية للإجابة عن هذا السؤال؟
هل هو مهم إلى هذا الحد؟ هل أصبحا يعنيان لي الكثير؟
لم أتخذ قراراً ، ولكن ما إن خرجتُ من الغرفة حتى رأيت
الرائد ألين يجلس إليهما في الصالة.



الفصل السادس والخمسون

يبدو أن الانزعاج كان بادياً على وجهي، قال ألين "مرحباً، لا تبدو سعيداً بلقائي"

لم أحاول أن أخفي انزعاجي، بل قلت بكل صراحة "ولماذا أسعد بلقاء من صوب رصاصتين مباشرتين إلى صدري؟"

أعلم أنها كانت مفاجأة لهما، ولكن ألين ابتسم وقال "أظن أنه كان لدي السبب الوجيه لذلك"

"ويبدو أنك ندمت عليه"

"كنت أعلم أنك شاب ذكي، على العموم لقد حضرتُ إلى هنا لأقول شيئاً واحداً" نهض من الكرسي واتجه صوبي، قال عندما بات قريباً مني "ابتعد عن إبراهيم"

تفاجأت لما قال، ولكنني قلتُ على الفور "لماذا؟"

"الأمر كذلك، فقط ابتعد عنه"

"هل هو أمر من المحكمة؟"

لم يقل شيئاً، فكررتُ بصوت مرتفع "هل هو أمر من المحكمة أم لا؟"

"لا، إنها مصلحتك فحسب"

سكتُ وقد ارتاح بالي قليلاً، ثم قلتُ "وماذا إذا لم أفعل؟"

"سيسبب لك المتاعب"

هدأ بالي، وقلتُ "سأحترم وجهة نظرك هذه، ولكنني أفعل ما

أراه مناسباً"

"وجهة نظري هي المناسب الذي يجب أن تفعله"

"لا أقدر"

سكت الجميع، فقال ألين "هل هذا هو جوابك النهائي؟"

"لن أفعل"

استدار ألين وترك المنزل دون أن ينطق بأية كلمة، كما لم ينطقا

أيضاً حيث كانا يعلمان أن لألين سلطة أكبر منهما عليّ، ومع ذلك لم

يستطع ردعي عما أفعل.



■ الفصل السابع والخمسون

عدتُ إلى التدريب المكثف ، فقد اقترب الدوري المحلي ، وكان علي أن أواجه أفضل المنافسين من الجامعات المختلفة.

هذه المرة كانت نادية متحمسة كثيراً ، وكانت ترافقني معظم الوقت ، وتساعدني في التدريبات ، يبدو أن أملها كبير في أن أفوز وألتحق بالدوري الدولي.

فعلاً تدربت كثيراً ، وكنتُ أعلم أنني سأواجه الكثير من المنافسين الماهرين ، ربما لن يكون بمستوى الدوري الدولي الذي شاركت فيه مراراً ، ولكن علي أن أكون حريصاً على التركيز والفوز.

بدأ الدوري ، هذه المرة كان الرجل العجوز وامراته يجلسان بين الجمهور يشجعان ، نادية وأنت أيضاً كنتما تضعان آمالاً كبيرة ، أرجو ألا أخيب أملكما.

كان علي أن أواجه عشرة منافسين ، كل منهم سيكون قد تخطى مجموعته أيضاً ، وها أنا الآن أقف على عتبة أول مباراة ، في أول مجموعة.

بدأت المباراة ، وكان المنافس قوياً ، يبدو أن الحظ لم يكن إلى صالحني لأواجه صعوبة في أول مباراة ، ولكن سرعان ما استطعت أن

أقلب الموازين إلى صالحى، وتفوقتُ عليه فى النقاط، وأطلقت صفارة النهاية معلنة فوزى.

فرح الجميع بالفوز، وهرعوا إليّ مهنئين، ولكننى أعلم أن المشوار ما يزال فى بدايته.

كل يوم احتفال، وكل يوم تشجيع، استمرت المنافسة ثلاثة أسابيع متتالية، وواجهت الكثير من الشبان الماهرين، إلى أن وصلت المباراة الأخيرة، إنها المباراة الحاسمة.

إذا ما فزت فإننى سأحظى بجائزة مالية لا يستهان بها، كما أننى سأنتقل إلى الدوري الدولى، وسأواجه أناساً أعرفهم منذ سنين. وقفت فى الحلبة أنظر إلى البعيد، حلمى بات قريباً، إننى أستعيد الكثير مما فقدت، ها أنا هنا الآن على عتبة النجاح.

ثم نظرت إلى الجمهور، الجميع يهتف لى، كثير ممن أعرف وممن لا أعرف، على أن أبذل قصارى جهدى.

بدأت المباراة، وقد كنتُ حذراً جداً، درست حركات منافسى لأتعرف على أسلوبه قبل المبادرة بضربة متهورة.

انتهى الشوط الأول على ذلك، وتجهزت للشوط الثانى، رغم أن الشوط الأول كان مملاً إلا أن هتاف الجمهور ما يزال قوياً.

بدأت المباراة الحقيقية الآن، وتبادلنا اللكمات، لم يوجه أحدا ضربة قاضية بعد، ويكاد الشوط ينتهى.

إذا ما انتهى الشوط دون ضربة قاضية فإن النقاط ستحسب،
وأظن أنني سأفوز بالنقاط، فليس هناك داع لمجازفة الضربة القاضية،
ولكن المهم الآن أن أكون حذراً من ضربته إليّ.
قارب الوقت على الانتهاء، بات استعداداه لضربة قاضية أمراً
أكيداً.

مر الوقت، لم يبق إلا دقيقة واحدة، لا فائدة، إنه مضطر
لتوجيه ضربة قاضية حتى ولو كانت عشوائية.
في هذه الأثناء استطعتُ كسب بعض النقاط الإضافية، إلى أن
وجه ضربته القاضية التي استطعت تجنبها، وأسقطته أرضاً، وأعلن
الحكم فوزي في المباراة، بل فوزي بالدوري المحلي.
دوّى الهتاف في الملعب، وركض الجميع إليّ، وبدأت
الاحتفالات المتتالية في المنزل وفي الجامعة، بل في أنحاء المدينة أيضاً.
بات الجميع يعرفني، وبتّ أملاً للكثيرين، هذا الإحساس الذي
نسيته قد عاد أخيراً، ها أنا أقف بطلاً من جديد، ما أجمل هذا الشعور.



الفصل الثامن والخمسون

ما يزال هناك وقت للتحضير للدوري الدولي ، فأخذت قسطاً من الراحة ، واستمتعت بأوقاتي ، وبالنقود التي حصلت عليها .

ذهبت معك ونادية إلى الملاهي عدة مرات ، وتمشينا على الشاطئ ، وتحدثنا كثيراً ، وعندما ركضت نادية إلى المياه وحدها وقفت إلى جانبي تنظر في مياه البحر وقد غربت الشمس وسألتني "أما تزال مصراً على المتابعة؟"

قلتُ "أجل"

"حتى لو كلفك هذا حياتك؟"

أشرت بالإيجاب .

"كلما شاهدتك تبارز أيقنتُ أكثر أنني أريدك أن تعود سالماً أكثر من أن تعود منتصراً ، لا أريدك أن تخسر حياتك"

نظرت إليّ بعيون حزينة ، ولكنني طأطأت رأسي وقلتُ "ربما يكون الوقت متأخراً على ذلك"

طأطأت رأسك وقلتُ "آسف على أنايتي"

قلتُ "على كل حال يبدو أن هناك مشاكل لا يمكن حلها"

"ربما لا أقدر على حل مشكلتك بنفسي ، ولكنني لا أؤمن أن

هناك مشكلة لا حل لها"

”فأين الحل؟“

”ما زلتُ أبحثُ عنه“

”لستَ مضطراً للحديث في هذا الأمر، لم تصبح صديقين حتى

نحل مشاكل بعضنا“

”لو كنتُ قادراً على حل المشاكل لحللتُ مشكلتي أولاً“

”ربما يكون حل المشكلتين مشتركاً، من يدري“



الفصل التاسع والخمسون

إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،
لقد كنت سعيداً جداً بما سمعت، لقد بات لي مكان في قلبك بلا
شك، ولم تعد تقوى على فراقى.
ولكنني آسف، لا أستطيع أن ألبي لك شيئاً كهذا، فلا بد أن
أتابع الطريق، خاصة أنني بت في القسم الأخير منه.
كما أننا لسنا مضطرين للحديث فيما لا نريد أن نكشفه بعد،
فأنا أعلم تماماً أنك تحمل أسراراً لم أطلع عليها، كماؤكد لك أنك لا
تعلم شيئاً عني.
مشكلتي... هل لها حل يا ترى؟ لم أطلبك يوماً أن تحل مشكلة
وقعت فيها، علماً أنني أعرف أنك ستفعل إذا ما استطعت، ولكن أن
أحملك ما لا تستطيع فهذا ما لن أفعل.
مشكلتي لا حل لها، حتى وإن قلت أنه لا مشكلة دون حل، فأنا
أعلم أنه لا حل لها، لذلك لن أطلبك يوماً أن تبذل جهداً لمساعدتي،
كما أظن أنني لا أستطيع تقديم العون لك، كل ما أردته أن نكون معاً،
هذا كل ما أردته منذ البداية، فلماذا نُحمل أنفسنا فوق استطاعتها؟
صحيح أن المشاكل كانت ما جمعنا في البداية، ولكن لم أكن أرى
فيك حلاً لمشكلتي، بل كنت البداية التي أبدأ فيها طريقاً جديداً.

لا أدعي أنني نسيت الماضي ، فلا أستطيع أن أنساه ، حيث أنه
يسير معي في كل خطوة ، ولكن بداية جديدة هي كل ما أستطيع أن
أفعله ، وإلى جانبي سرتَ أنت ، وحدك دون الجميع ، وهذا كان
يكفيني .

كل ما أريد أن أقوله أنني لا أريدك أن تحزن كلما شعرتَ
بالضعف أمام مشكلتي ، فلستَ المكلف بحلها ، لم ولن تكون كذلك ، كن
فقط إلى جانبي ، أكن سعيداً .



الفصل الستون

صرفتُ الكثير من المال دون أن أدري، وبدأتُ أشعر أنه يتوجب علي أن أقتصد فيما أصرف، فهذا المال غير مستمر، إنه مجرد مكافأة وحيدة.

لم يكن هذا القرار سهلاً ولا جميلاً، فقد عدتُ إلى إحساس الحياة المترفة فترة وجيزة، والآن أعلم تماماً أنه مجرد حلم كان في الماضي.

رغم كل ما صرفتُ لم يتدخل فيما أفعل، فقد كانت قناعتهما أنني جلبت المال بجهد فردي، ويحق لي أن أتصرف فيه كما يحلو لي.

عندما أفكر في الأمر الآن أظن أنه كان يتوجب عليهما أن ينصحاني ألا أكثر من الصرف على اللهو، ولكنني أعلم أنني لم أكن لأستمع إليهما.

في الأيام التالية لم أعد أراك كثيراً، بتُّ غالباً ما أرى نادية وحدها أيضاً.

حتى أن هاتفك كان مغلقاً معظم الأوقات، وقد تغيبتَ عن الكثير من المحاضرات، هل بتُّ تعمل عملاً إضافياً؟

إذا كنتَ تحتاج المال فأنا لذي المال الكافي، لقد صرفته في اللهو
هنا وهناك، كان من الأجدر بي أن أصرفه على ما هو أهم.

ولكنني عندما اقترحتُ عليك ذلك أجبتَ بكل بساطة "المال لا
ينقصني، أنا بخير"

لقد بتَّ أكثر هدوءاً، هناك تغير ما لا تخبر به أحداً، حتى
نادية باتت تتساءل عما تفعل.

لم أعد قادراً على زيارتك في المنزل كثيراً، ولسبب غريب أشعر
أنك لا تعمل، بل ربما تركتَ عملك نهائياً، أنت لست مرهقاً، الهدوء
يحيطك بشكل غريب.

زرتك مرة في المنزل، وحاولتُ أن أسألك عما تفعل في أيامك
هذه، فقلتُ "كيف حال عملك؟"

أجبتَ بكل بساطة "لقد تركته"

"هل بدأتَ عملاً آخر؟"

"كلا"

"إن، كيف تحصل على المال؟"

"من مصدر جديد"

"وما هو؟"

سكتَ، فقلتُ "لا تقل لي أنك تسرقه"

”كلا، لا تقلق“

”فمن أين لك بالمال؟“

”هناك من يقدمه لي“

”من؟“

”هل أنا مضطر للإجابة عن كل هذه الأسئلة؟“

”غريب وضعك، لقد تغيرت بعض الشيء“

”إلى الأسوأ؟“

”لم أقل ذلك، ولكنك تبدو متأملاً بعض الشيء، لم تعد كما كنت

تلهو إلى جوارنا“

سكت، عندها فتحت التلفاز ليكسر صمتنا، أول محطة فتح

التلفاز عليها كانت محطة للأخبار.

لم تكن هذه أول مرة، ولا حتى الثانية التي أفتح فيها التلفاز

لأرى أنك كنت تشاهد الأخبار، بل من الواضح أنك لا تشاهد غيرها.

كانت الأخبار تتحدث عن حرب متوقعة بين دولة بعيدة

ودولتنا هذه، ولكنها في الوقت نفسه تطمئن السكان أن التوقعات

ليست أكيدة، بل إن احتمالها ضئيل جداً.

سألتك ”هل تؤمن فعلاً أننا سنشهد حرباً قادمة؟“

”ألا تؤمن بذلك؟“

”دولتنا قوية، هي من تقرر الحرب على الآخرين، ليس هناك خوف علينا“

سكت، بعد أن حدثت في البعيد قلت ”أكره الحروب“
يبدو أنك تذكر حرباً ما، ربما شهدت حرباً قبل أن تحضر إلى هنا، تابعت دون أن أسألك عن شيء ”جرحي، سببه الحرب“
سكت، لا يكفي ما سمعت، يجب أن تتحدث أكثر، إنك على وشك البوح بشيء كبير، قلت ”أنا لم أتبرع بكليتي، لقد سُرقَت مني“
نظرت متعجباً لما قلت، لقد بحثُ بسر كبير فجأة.
بقيت صامتاً أنتظر أن تتحدث، فأنت تعلم تماماً أن سرّاً بسر كان حديثنا.

ابتسمت ابتسامة خفيفة، ثم بدأت تقول ”بعد أن خرجتُ من الميتم كان أسهل مكان أذهب إليه هو الجيش، شاركتُ في الحرب، ودخلت على امرأة في منزلها، قامت بمقاومتني، فخدشتني“ وضعت يدي على أنفك وقلت ”وما يزال جرحها ينزف إلى الآن“
لم يكن لدي ما أقول، حرب وجراح فجأة، لم أتصور أبداً أنك كنت في الجيش.

هدوء كبير أحاطنا، ماذا الآن؟ هل أعاد سؤالك عما تفعل؟ هل أسألك عن أيامك في الجيش؟ هل أحدثك عن نفسي؟ كل هذه الاحتمالات لم تكن واردة، الصمت فقط كان الخيار.

■ الفصل الحادي والستون

إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً.

سر بسر قد أدى بنا في النهاية إلى الصمت المطبق، لم أكن أتصور فعلاً أنك قد كنت في الجيش، وقد شاركت في الحروب، وقد تركت فيك جرحاً لا يندمل.

هل هناك المزيد؟ هل ما زلت تخفي الكثير؟ وماذا تفعل الآن؟ بل ماذا سأفعل أنا في شأنك؟

هل ما زلت تبحث عن حل؟ ألا تدري أن هناك أموراً لا حل لها، متى ستكتشف تلك الحقيقة؟

بل ماذا يتوجب علي فعله الآن؟ أشعر بالضيق، أريد أن أعود أعواماً في الماضي، أريد أن أهرب من كل الحقائق.

لقد طلب ألين إلي أن أبتعد عنك، هل تسببت بالكثير من المتاعب؟ هل كانت رحلتك مع الجيش عسيرة؟

ماذا أفعل؟ ماذا سأقول عندما أقابلك في المرة القادمة؟ هل سأصمت؟

الفصل الثاني والستون

تغيبتَ ثانيةً عن الدوام، وقابلتُ نادية في صالة التدريب، بت
أقابلها أكثر مما أقابلك، بل ربما بت أقابلها أكثر مما تقابلها أنت.
باتت تسألني إذا ما رأيتك اليوم، أو البارحة، أو قبله، يبدو
أنها تشعر بالوحدة، إنها تفتقدك كثيراً.
تحدثنا قليلاً، فجأة قالت "حلمتُ الليلة أن إبراهيم قد عاد إلى
الجيش"

تفاجأتُ وقلتُ "أنت تعلمين أنه كان في الجيش"
"والدي كان القائد على كتيبته"
لم أكن أتوقع ذلك فعلاً، قلتُ "إذن قابلته هناك"
"كلا، رأيته من قبل عدة مرات، ولكننا لم نتحدث قبل أن
يلتحق بالجامعة، عندها كان قد انسحب من الجيش" ثم قالت "ألم
تكن تعلم ذلك؟"
"علمتُ حديثاً أنه كان في الجيش، ولكنني أظن أنه لم يكن
سعيداً هناك"

"كلا لم يكن كذلك، وهو يكره الحديث عن تلك الفترة الزمنية"
بدا لي أنها تعرف الكثير عنه، ولكن كيف لي أن أعرف المزيد؟

هل أتابع الحديث، أنتظر منها بعض الزلات هنا وهناك؟ كم من
الوقت سيستغرق ذلك؟
صدر صوت الصافرة معلناً بداية المباراة، فاستأذنت نادياً،
وركضتُ إلى ملعب كرة الطائرة.



الفصل الثالث والستون

لقد تغيبت أربعة أيام متواصلة، وهاتفك مقفل، ولست في المنزل، أين أنت؟

لقد شغلتننا عليك كثيراً، بعثتُ إليك برسائل هاتفية لعلك تقرأ شيئاً منها، ووضعتُ ورقة تحت باب شقتك لعلك تسحبها وتقرأها، ولكن لا فائدة.

اختفيت، وكأنك تريد أن تختفي فجأة، هل كان يصعب عليك تبرير ما تفعل؟ إذا لم يكن لديك ما تقول لي فعلى الأقل قل شيئاً لنادية.

بدأ الثلج يتساقط، وبت أسأل أصحاب الدكاكين أسفل الشقة، لم يرك أحد تعود إلى المنزل، ولكنهم نصحوني أن أسأل عنك صاحب العمارة، فلا بد أن تدفع إجار الشقة له.

بدأ الثلج يسقط بغزارة، مع ذلك كنتُ مصراً على القيام بزيارة قصيرة لصاحب العمارة.

كان منزله بعيداً، وصلتُ بصعوبة، بعد أن استقبلني أخبرني أنك بعثت إليه بنقود أجار الشهر الماضي قبل يومين، ولم تذكر شيئاً عن الخروج من الشقة على الإطلاق.

هذا يعني أنك تنوي العودة من حيثما أنت الآن، لا بد أن تعود.
حاولتُ الاتصال بك ثانية، الهاتف مغلق.
عدتُ إلى المنزل، أحسستُ عندما دخلتُ أنني كنت أسير في
عواصف ثلجية دون أن أدري، لم أشعر بذلك إلا عندما دخلتُ المنزل
الداقي.
استبدلتُ ثيابي، وحاولتُ الاتصال بك مجدداً دون فائدة،
فوضعتُ رأسي على الفراش، ونمتُ نوماً عميقاً.



الفصل الرابع والستون

استيقظتُ في الصباح أشعر بألم في حلقي، يبدو أنني أصبتُ بالبرد بعد البارحة الحافل.

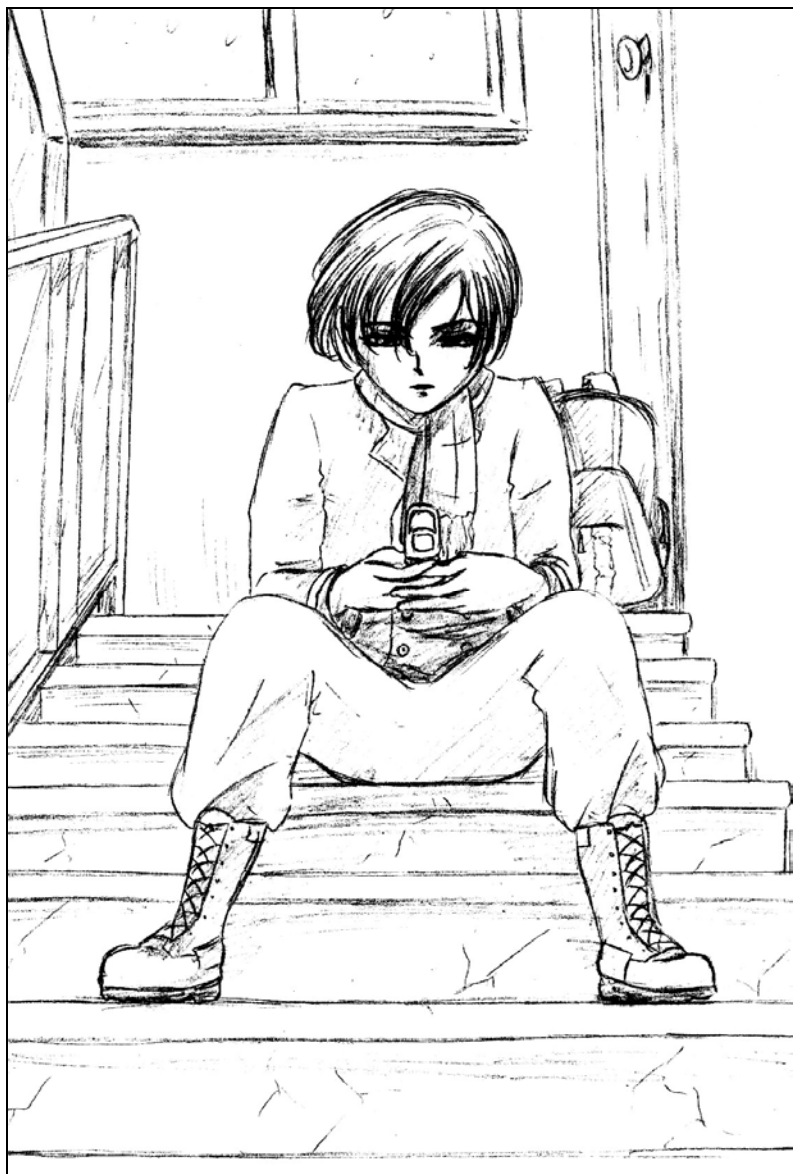
خرجتُ من المنزل إلى الجامعة، كان الجو هادئاً في الصباح، ولكنه بدأ يسوء مساءً.

ذهبتُ إلى شقتك، جلستُ على السلالم أنتظرك، لا بد أن تعود. حاولتُ الاتصال بك، لا فائدة، الهاتف مغلق .

هل عليّ الاتصال بالشرطة؟ ولكنك قد دفعتَ الإجار قبل يومين، بل إنني آخر شخص ينوي الوقوف أمام شرطي، ذكر اسمي في أي صفحات رسمية قد يسبب لي المتاعب.

رن هاتفي، نظرتُ إليه بسرعة ولكنك لم تكن المتصل، إنه المنزل، لقد قلقا علي، يبدو أن الوقت قد تأخر، بل يبدو أن هناك عاصفة ثلجية في الخارج.

وعدتهما أن أعود خلال وقت قصير، وأغلقتُ الهاتف، أتمنى لو تتصل.



بدأ جسدي يقشعر، أشعر أنني أغلي، بدأت أسعل بشدة، يبدو
أن وضعي قد ساء عن البارحة كثيراً، علي أن أعود إلى المنزل بسرعة.
حملتُ حقيبتي، ونزلتُ السلالم لأغادر، نظرتُ إلى الطريق فإذا
بها عاصفة ثلجية تغطي المدينة، إنني لا أرى بضعة أمتار أمامي.
سعلتُ ثانية، بات سعالِي مدوياً ومؤلماً، هل أستطيع العودة إلى
المنزل؟

فكرتُ أن أنتظر قليلاً داخل البناية علّ العاصفة تهدأ، ولكن لا
يبدو لي أن هذا كان خياراً.
خطوتُ خطوتي الأولى للعودة إلى المنزل، فرأيتُ شخصاً يقترب،
كان أنت.



الفصل الخامس والستون

لم أصدق ما أرى، في اللحظة التي لم أعد أفكر فيها بلقائك
ظهرت لي فجأة.

نظرت إليّ بعيون حائرة، ماذا أفعل هنا، ولكنني أقيتُ
حقيقتي وأمسكت بك، لم أكن قادراً على إخراج صوت من حلقي،
ولكنني قلتُ ببحة واضحة "لقد عدت"

يبدو أنك قد رأيت ما يقلقك، لقد ارتبت عندما نظرت في
وجهي، ولمست جبينني وقلت "آدم، أنت محموم"
ابتسمت وقلت "أخيراً عدت"

أمسكت بي وقلت "ماذا تفعل؟ هيا ندخل إلى المنزل"
ولكنني أوقفتك وقلت "خذني إلى المشفى"
بدأت أفقد السيطرة على نفسي، لم أعد أقوى على الوقوف أكثر،
أمسكتني بقوة وقلت "تمالك نفسك"
قلت بصوت خافت "المشفى..."



الفصل السادس والستون

كان لقاءنا غريباً، نقلتني بسرعة إلى المشفى، كل ما أذكره أن الهواء كان بارداً جداً، وجسدي يغلي من الداخل، ويقشعر من الخارج. لم تكن هناك أي حافلة في الطريق، ليست هناك مراكب، ولا رجل يسير على قدميه، كنا وحدنا، تحمل كتفي على كتفك، تقودني إلى أقرب طوارئ في المدينة.

وصلنا الطوارئ، واستلقيتُ على الفراش، كنتُ أشعر بضيق في نفسي، وألم في صدري، وكنتُ أسعل بشدة، وحرارتي مرتفعة. بعد فحص سريع وأسئلة موجهة كان من الواضح أنني أعاني من ذات الرئة، ولكن الفحص أيضاً كشف عن ندب جراحية في صدري، السؤال التالي كان واضحاً "ما سبب هذه الندبة؟"

قلتُ "استئصال جزء من الرئة اليمنى"

أعلم أنك تفاجأت لذلك، فلم تكن كليتي هي الشيء الوحيد الذي فقدت، ولكن السؤال التالي كان الأدهى "وما هو سبب الاستئصال؟" أجبتُ "عيار ناري"

لم تستطع أن تخفي اندهاشك، بينما سارع الطبيب بإكمال الإجراءات، وتم توصيل الأوكسوجين إلى الكمامة، ووضع المغذي

الوريدي الذي أضافوا إليه بعض الأدوية مباشرة، كما أظنهم قد سحبوا بعض العينات للفحص.

بدأت الأدوية تأخذ مفعولها، وبدأ الألم يختفي تدريجياً، وبدأت أستسلم للنوم.

كنت نائماً عندما دخل ألين الغرفة، وكنت إلى جانبي تجلس بهدوء إلى أن رأيته، وقفت مندهشاً تقول "ألين! ماذا تفعل هنا؟" أجاب ألين "أطمئن عليه"

"هل تعرف آدم؟"

"أعرفه وأعرف كل شيء عنه، وأعرف أن وجوده إلى جانبك سيسبب له المتاعب"

يبدو أنك كنت تشعر بالذنب، فلم تستطع أن تدافع عن نفسك. قال ألين "تريد أن تعرف ماذا أكون بالنسبة لآدم، أنا من صوب إلى صدره رصاصتين موجهتين، وقد نجا بأعجوبة"

نظرت إليه ولكنه تابع يقول "يبدو أننا لا نغير، تركت الجيش كما تركته، نظن أننا سنصلح من حالنا، بل ربما نكفر عن ذنوبنا، ولكننا لا نستطيع إلا أن نرتكب ما اعتدنا على ارتكابه"

قلت "دعني أحمّن، أنت هنا تحاول أن تكفر عن ذنبك بمساعدته"

”شيء من هذا القبيل“

”وأنا أقف عقبة في طريقك وطريقه“

”هذا صحيح“

سكت، فقال ألين ”إذا كنت تحب أن يكون آدم بخير، فاخرج من حياته، لقد أعطيته فرصة لحياة جديدة بصعوبة، فلا تضيع فرصته الوحيدة“

يبدو أنكما تفهمان الحديث الذي يدور بينكما بعمق، فبعد صمت قصير قررت أن تنصاع لاقتراح ألين، وحملت معطفك من الأريكة المقابلة لسريري، واعتذرت وسرت لتغادر.

أمسكت قميصك أستوقفك، نظرت إليّ وقد كنت تظن أنني غارق في النوم، ولكنني قلت ”أنا لم أتخلّ عنك بهذه السهولة“ بقيت تنظر إلى الجديّة في عيوني، ثم جلست على الكرسي ثانية وقلت ”لقد كنت في المعبد“

تعجبت لما سمعت، في المعبد! طول هذا الوقت.
قلت معللاً تصرفاتك الغريبة ”خشيت أن تسخر مني إذا أخبرتك“
قلت ”لن أسخر من شيء مما تفعل“

ولكنك قبضت يديك وقلت وأنت تحديق الأرض، كأنك لم تستمع إليّ ”أريد الغفران، بأي شكل وبأية وسيلة“

قلتُ بصوت هادئ "وهل عُفِرَ لك؟"

"لا أعرف، لا أعرف"

ابتسمتُ وأمسكتُ بيدك وقلتُ "ما دمت تريد الغفران إلى هذه

الدرجة، فلا بد أن يغفر الله لك"

بدأت الدموع تنهار من عينيك، لم تستطع أن تحبسها أكثر.

تابعت البكاء إلى جانبي، وغادر ألين الغرفة بهدوء.



الفصل السابع والستون

اتصلتُ بهما وحضرا لإخراجي من المشفى، ودفع ما تطلبت
الفحوصات والعلاجات، كما حملتُ معي علاجات منزلية.

سنفترق الآن، قلتُ "هل ستعود إلى المنزل؟"

أجبتَ "نعم"

"هل سأراك في الجامعة غداً؟"

"أجل"

لم تكن على طبيعتك، فقلتُ "هل أنت على ما يرام؟"

"أنا من يتوجب عليه طرح هذا السؤال"

"أنا بخير، لا تقلق عليّ"

بعد صمت قصير قلتُ "أنا آسف"

ابتسمتُ وقلتُ "ليس عليك أن تعتذر عن اليوم، ولكنني أقبل"

اعتذار انقطاع أخبارك عنا طول الوقت"

قلتُ وكأنك لم تسمع ما قلتُ "آدم، أنا لا أستطيع مساعدتك"

قلتُ "لم أطلب منك المساعدة"

نظرتَ إليّ فقلتُ "رغم أنك قدمت المساعدة منذ زمن"

"ليس هناك ما أقدمه لك، كما أنه ليس هناك ما تقدمه لي"

”كنتُ أعلم ذلك منذ البداية”

”فلماذا انتظرتني؟”

في لحظة كهذه كان عليّ أن أجيب جواباً مختصراً وشاملاً، قلتُ

”لقد اشتقت إليك”

لم تتغير ملامحك، بقيتَ تحديق بي بالعيون ذاتها، بتُ أشك

فعلاً أنك تسمع ما أقول، أنت فقط تفكر فيما تريد أن تسأل بعد،

ولكنك أنهيتَ الحديث وقلتَ ”أراك غداً”



الفصل الثامن والستون

إلى من ظننت أنني قد لا ألتقيه بعد أبداً.

أعلم أنك تبحث عن حل لمشكلتك، وتحاول أن تبذل كل ما في وسعك، وتتعلق بأرفع شعرة، ولكنني تفاجأت عندما علمت أنك بتّ تتردد على المعابد، وتبحث عن الغفران، ومازلتَ غير قانع إلى الآن.

فماذا تريد بعد؟ ما الذي سيرضيك؟

الآن وقد عدتَ، يجب أن تعاهدني أنك لن تهرب، وأنت ستكون صريحاً، وأننا سنتفهم كل ما يجري بيننا.

ليتني أستطيع أن أقول ذلك صراحة، مازلتُ أشعر أن الكلام على ورقي لن يصل إليك، ليتني أملك الجرأة.

هل هذا هو نفسه الاحساس الذي قادتُ للهروب، هل كنتُ سأفعل الشيء ذاته إذا ما كنتُ مكانك، هل كنتُ لأخبرك صراحة بما أفعل وما أفكر؟

وهل لهذا علاقة بمدى قوة العلاقة بيننا، أم أنه أمر طبيعي

يحدث مع الجميع؟

سأراك غداً، هذا ما يهم الآن.

الفصل التاسع والستون

حل الصباح ، ونهضتُ من الفراش لأتجهز للخروج إلى الجامعة.

سمعا حركتي في الغرفة، فطرقا الباب ودخلا.

قلتُ مبتهجاً "صباح الخير"

قالا "صباح الخير" ثم تابعت "ماذا تفعل؟"

أجبتُ "أتجهز للخروج إلى الجامعة"

قال "أنت تمزح ولا شك، لقد خرجتَ البارحة من المشفى"

"أنا بخير"

قالت "لست كذلك، الطقس بارد في الخارج ولن أسمح لك

بالخروج"

لم يكن هذا خياراً بالنسبة لي، ولكن كيف أستطيع أن أشرح

لهما أنني أريد أن أذهب لألقى شخصاً تهرب من لقائي، قلتُ "يجب

أن أذهب"

قال "من أجل الجامعة أم من أجل إبراهيم؟"

سكتُ، أعلم أن إجابتي لن ترضيهما، ولكنها قالت "مهما كان

السبب، لن أسمح لك بالخروج، إذا ما كنتَ تريد لقاء إبراهيم فليحضر

بنفسه إلى المنزل"

لم تكن فكرة سيئة، إذا لم أحضر إلى الجامعة اليوم هل سيحضر
إلى منزلي؟ أحب أن يفعل، على الأقل عليه أن يطمئن علي، لقد مرضتُ
وأنا أنتظر عودته.

أعدتُ حقيبتني إلى مكانها، وعدتُ إلى الفراش، أطعتهما بكل
بساطة، وانتظرتُ اتصالاً منك.



الفصل السبعون

باتت الساعة الثالثة مساءً، لقد انتهت المحاضرات، ولم تتصل، ولم تحضر.

بدأت أشعر بانزعاج، ولكنني لم أكن لأتصل بنفسي، أريدك أن تفعل ذلك.

الساعة الآن الرابعة، مازلتُ في الفراش أشعر بالملل، بل إنني لا أستطيع أن أفكر بأي شيء سوى الانتظار.

أخيراً رن جرس المنزل، نهضتُ من الفراش ثم تمالكتُ نفسي وتمددت ثانية، عليك أن تعلم أنني متعب من المرض.

فتح الباب فكنتُ أنت أخيراً، وإلى جانبك قدمت نادبة أيضاً تحمل وروداً.

فرحتُ بقدومكما كثيراً، وبادرت نادبة تقول "سلامتك، لم أتوقع أن تسوء حالتك إلى هذه الدرجة، تصورت أنه كان برداً بسيطاً" شكرتُها وقلتُ "هذا ماحدث"

وضعتُ نادبة الورد إلى جانبي، ثم قالت "والدتك لطيفة جداً، سألتنا فور دخولنا عن العصير الذي نفضله، سأذهب لأساعدها على تحضيره"

غادرت نادبة الغرفة، وبتنا وحدنا، فقلتُ "لم تتصل"
قلتُ ببساطة "توقعت أنهما لن يسمحا لك بالخروج"
"كنتُ سأحزن كثيراً إذا لم تحضر"
"لم يكن خياراً"

جلستُ إلى جانبي وقلتُ "كيف حالك الآن؟"
"أفضل" ثم قلتُ "منذ متى تعرف ألين؟"
ابتسمتُ وقلتُ "منذ زمن، كنا في الجيش معاً"
"هل ترك الجيش كما فعلت؟"
"تركه قبلي، والتحق بالشرطة"
"فلماذا لم تفعل مثله؟"

"من الجيد أنني لم أفعل، فلم أر فيه تغييراً ملحوظاً" عندها
قلتُ "لقد أطلق عليك النار أليس كذلك"
"لا أريد الخوض في هذا الموضوع، على الأقل ليس الآن"
دخلتُ نادبة تقدم العصير وتقول "إن أمك لطيفة جداً، لقد
أحببتها كثيراً"

لم أكن لأخبر نادبة أن تلك المرأة ليست أمي، بل لا تجمعنا أي
صلة قرابة، ابتسمتُ لإطرائها، وشربنا العصير.
لم يطبلا الزيارة، كانا يعلمان أنني أحتاج قسطاً من الراحة،

ولكن نادية قالت قبل أن تغادر "عليك أن تستعيد نشاطك بسرعة،
فالدوري الدولي بات على الأبواب"

تفاجأت لذلك، ولكنك نظرت إليها وقلت "لقد أخبرتك ألا
تذكرني ذلك الآن"

قالت نادية "ولكننا رياضيان، ونعلم أن هذا الأمر مهم جداً"
نظرت نادية إليّ وقالت "سيبدأ بعد شهر ونصف من الآن"
بهذه السرعة! يجب علي أن أتدرب كثيراً.
قلت "عليك أن تستريح الآن، لا تفكر في الأمر كثيراً، لن
تتدرب قبل أن تتحسن صحتك"

حمل كل منكما حقيبته، واتجهتما صوب الباب، عندها
استوقفتك وسألتك "إبراهيم، هل كنتما صديقين؟"
توقفت ونظرت إليّ، فقلت "أعني أليس"
فكرت قليلاً ثم قلت "ليس تماماً، لا أظن ذلك"
وغادرتما.



الفصل الحادي والسبعون

إلى من ظننت أنني لن ألتقيه بعد أبداً،

هل علمتَ لماذا سألتك عن ألين، وهل كنتما صديقين من قبل؟ هل

شعرت أنني أجس نبض علاقتنا، وأحاول أن أفهم صلتك بي؟

عندما اختفيت، انتابني شعور أنك لست قريباً من أي شخص في

هذه الدنيا، حتى مني أنا، ما زلتَ بعيداً، ولكنك عندما حضرتَ

علمتُ أنه كان شعوراً ليس إلا، وما زلتَ هنا، وما زلتَ تراني، وما

زلتَ تريد الخير لكلينا.

ليس مهماً ما تفعل، وما تفكر، المهم أن تكون أمامي، لا أحب

الجفاء، لا أحب الوحدة، ولا أحب أن أفقد ما أملك.

أما عن الدوري الدولي، فأنا أعلم تماماً أنك بت ترفض الفكرة

أكثر من أي وقت آخر، فأنا أَلعب بكلية واحدة، ورثة قد انتزع جزء

منها، وفوق ذلك أعاني من ذات الرئة الآن، أعلم تماماً أن ما أقوم به

انتحار، ولكنني آسف، هذا قرار لا أشارك فيه أحداً حتى أنت.

ربما كان هذا عمر الجنون، ولكنني أعلم أن ما أقوم به هو

الجنون، ولستَ غافلاً عن ذلك، ولكنني بحاجة ماسة للمنافسات،

فالتخلي عنها والموت بالنسبة لي سيان.

■ الفصل الثاني والسبعون

مر أسبوع قضيته في المنزل، أظنني كنتُ محظوظاً أن مرضي لم يتأزم أكثر.

ذهبتُ إلى الجامعة، ولكنني لم أداوم في النادي قبل أسبوع آخر، حتى أضمن سلامة صحتي في هذه الأثناء.

ثم بدأتُ التدريب الجاد، وحرصتُ على الاستعداد الكامل، حيث أخذ مني كل وقتي وكل جهدي.

صحيح أنني أقابلُك في الجامعة، ولكن لم يعد لدي الوقت لزيارتك في المنزل، بل أظنك ما تزال تداوم على المعابد بعد الجامعة. ليتك تحصل على ما تريد، ولكنني لا أشعر أنك تفعل.



الفصل الثالث والسبعون

بدأ الدوري الدولي، تصورتُ أنني سأكون متوتراً، ولكن عندما رأيتُ أناساً كنتُ أعرفهم في الماضي زال التوتر، إنني أعرفهم، وأعرف أسلوبهم، كما أعرف نقاط ضعفهم، إنهم المنافسون الذين أنافسهم كل مرة تقريباً.

تصافحنا، وتبادلنا أحاديث قصيرة، حرصتُ فيها ألا أذكر شيئاً عن هجرتي.

نادية كانت دائماً في مقدمة الجمهور، وغالباً ما كنتُ إلى جانبها. طبعاً حضر كذلك الرجل وزوجته للتشجيع، كنتُ أقرأ في عيونهم نظرات الفخر والإعجاب.

بدأت المباراة الأولى من أصل خمس مباريات، وقد كانت بداية موفقة، حيث أنني كنت مستمتعاً باللعب، أذكر أياماً كانت الأسعد في حياتي.

انتهى الشوط الأول بفارق بسيط في النقاط، ولكننا كنا نعلم أن هذه المباراة ستنتهي بضربة قاضية، ولن يكتفي أحدنا بالنقاط، وقد كانت الضربة القاضية من نصيبي، وفزت بالمبارزة.

كان هناك يوم أو يومان بين كل مباراة وأخرى، حيث أن هناك مجموعات تتنافس بالتناوب، وعدتُ إلى التدريب الجدي من جديد.

حان موعد المباراة الثانية، وتجمع الكثيرون للتشجيع، رأيته
بين الجمهور وقد كان هناك شاش أبيض حول أذنك اليمنى، والجهة
اليمنى من وجهك.

ركضتُ إليك أسألك عما جرى، فابتسمتَ وقلتَ أنك قد أصبت
بحروق بسيطة أثناء الطهو، وكل شيء على ما يرام.

صدقتُ حكايتك على الفور، وعدتُ إلى المباراة.
كانت المباراة جيدة، خصوصاً أن منافسي كان صديقاً قديماً لي،
أذكر في العام قبل الماضي أننا تنافسنا على الميدالية في المباراة النهائية.
استمتعتُ بالمباراة كثيراً، وشعرتُ أنني حققت ما أردتُ
الوصول إليه، هذا الشعور الذي استعدته أخيراً هو ما كنتُ أسعى إليه
من المبارزات، أخيراً أنا هنا، أسعى إلى القمة.

فزتُ بالمبارزة، ولم يتبق لي سوى ثلاث مبارزات أخرى،
والمبارزة التالية كانت في اليوم التالي على التوالي.
تجهزتُ للمبارزة، ووقفتُ في الحلبة، ونظرتُ في جمهوري،
فكنتُ متأخراً.

حضرتُ في بداية الشوط الثاني، وما يزال الضماد حول وجهك،
يبدو أنك تستبدله بين حين وآخر.

فزتُ بالمبارزة وتبقى لي مبارزتان فقط، الأخيرة وما قبلها،
وكان لدي يوم للاستراحة قبلهما.

الفصل الرابع والسبعون

احتفلاً بي كثيراً، واكتشفتُ أنني لم أجلس مع أحد منذ فترة،
كان اجتماعاً سعيداً جداً.

لقد ابتعدتُ عن الجميع في الآونة الأخيرة، والجميع كان يقدرُ
أنني بحاجة إلى كل الوقت والجهد للتدريب.

خرجتُ من المنزل متجهاً إلى منزلك، أود أن نقضي وقتاً ممتعاً
معاً، فلم نجلس وحدنا منذ فترة طويلة.

وصلتُ المنزل، ونظرت في النوافذ من الخارج، هناك آثار حريق.
ركضتُ إلى الشقة، فكان الباب مفتوحاً ومحروقاً، وكل ما في
المنزل قد تحول إلى رماد.

دخلتُ المنزل، وتجوّلتُ فيه ببطء، لا أصدق ما أرى، لم تطأ
قدمي سوى الرماد، المطبخ أسود، الصالة تحولت إلى رماد، غرفة النوم
مهترئة، والصورة على الجدار... إنها سوداء حولها آثار لمحاولات
متكررة للتنظيف، ولكن بلا فائدة.

تخيلتك فقط تحاول تنظيف الجدار، ألا يكفي أنك تفتقد والديك
إلى درجة كبيرة، كيف يحدث كل ذلك؟ بل كيف لا أدري به إلى الآن؟
طبعاً تذكرتُ الحروق على وجهك، كيف صدّقتُ حكاية سخيصة
كالتي سردتها لي؟ أين كان عقلي حينها؟

نظرتُ حولي ، كيف لك أن تصلح كل هذا؟ لم يتبق شيء
عندها كنت قد وصلت الباب ، ورأيتني في الداخل ، كنتَ تحمل
بعض الرسائل وكيساً لطعام معلب.

لم أستطع التفوه بكلمة ، دخلتَ بهدوء ، ووضعتَ الأكياس على
طاوولات المطبخ المهترئة ، ثم نظرتَ إلي بعيون هادئة وقلتَ "هل أنت
جائع؟"

ولكنني قلتُ "لماذا كذبت علي؟ كيف تجعلني أصدق حكاية
سخيفة؟"

ابتسمتَ وقلتَ "الحرق حرق ، أكان من الموقد أم... من المنزل
بكامله"

"لماذا لم تحضر إلي منزلي؟ كيف تبقى هنا؟"

"أنت مشغول كفاية"

"لستُ مشغولاً عنك"

"لقد حضرت الآن فقط ، أنت مشغول"

أسكتني ما قال ، فقد كان محقاً ، والمنزل كان مفتوحاً طول
الوقت ، ولا يستطيع أن يخفي شيئاً مما جرى.

قلتُ ثانية "هناك بعض المعلبات ، والعصير ، تفضل"

بقيتُ واقفاً مكاني ، فقلتُ "لا تفكر في الأمر ، سأدبر كل شيء"

”كيف؟“

”ألا تثق أنني أستطيع تدبر الأمر“

”تحتاج لمبلغ كبير جداً“

”أنا على ما يرام، سأندبر الأمر“

اقتربتُ منك فإذا بي أرى ورقة بين أوراقك وقد كانت المحكمة

مرسلها، وقلتُ ”ما رأي صاحب العمارة بما جرى؟“

قلتُ ببساطة ”يريد النقود“

”هل لجأ إلى المحكمة؟“

فتحتَ العلب وبدأتَ تأكل، وقلتُ ”لابد من ذلك“

انزعجتُ وقلتُ ”لا تتحدث وكأن شيئاً لم يكن، أخبرني ماذا

ستفعل“

عندها لمحتُ ورقة كنتُ أعرف منظرها، إنها شركة لبيع

الأعضاء، جفلتُ فقط لفكرة أنك تفكر في الأمر.

توقفتُ عن الجدال، وشردتُ في البعيد، فنظرتُ إليّ وقلتُ ”ما

الأمر؟“

أشرتُ إلى الورقة إلى جانبك وقلتُ بصوت منخفض ”ما هذه؟“

نظرتُ إلى الورقة، إنها إعلان للشركة، فقلتُ ببساطة ”كما ترى“

قلتُ ”هل تفكر فعلاً في ذلك؟“

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقلت "إنها نقود سريعة، ألا تظن ذلك"
لم أستطع أن أنطق بكلمة، ولكنك قلت ببساطة "سأقوم بالتبرع
بجزء من الكبد، ولن تكون هناك مشكلة، فهو يعاود النمو من جديد،
أسلوب سهل للحصول على مبلغ كبير من المال"
قلت بصوت ضعيف جداً "أنت لا تعني ذلك"
نظرت إليّ وقد كان وجهي قد بات أصفر بكل تأكيد، قلت "لا
تقلق عليّ، سأكون على ما يرام"
أمسكت الأوراق وسرت لتنقلها إلى الغرفة، فأمسكت قميصك
وقلت بصوت مختنق "أرجوك ألا تفعل"
بقيت واقفاً مكانك ولم تلتفت إليّ، فقلت "والدي كان تاجر
أعضاء، وعندما أصيب بضائقة مالية قام ببيع كليتي رغماً عني"
لم أر تعابير وجهك، فلم تكن تنظر إليّ، ربما كان ذلك جيداً،
حيث أنها أول مرة أنطق بها هذه الحقيقة، ولم أكن أحب ذلك.
تابعت قائلاً "لقد قاموا بتخديري من المنزل، وعندما استيقظتُ
كان كل شيء قد انتهى، كنت في المنزل مع ندبة كبيرة على ظهري،
ذهبتُ إلى إحدى العيادات لأتحقق الأمر، وقد أثبت أنني فقدت كليتي
اليسرى"

بدأت أذرف الدموع، وتابعت "غادر والدي البلاد، فحملتُ

مسدساً كان في المنزل، وخرجتُ إلى أقرب مشفى، وقمتُ بإطلاق النار على ثلاثة أطباء، أوديتهم صرعى”

تابعتُ البكاء، ولم تلتفت إليّ بعد، بقيت صامتةً تفكر فيما سمعت، هذا كان كل ما لديّ، لهذا لا أريدك أن تقدم على الخوض في أمور كهذه.

أخيراً نطقت، قلتُ ”عندما دخلتُ المنزل أثناء الحرب، كان فيه أم تحمل طفلها الرضيع، كان عمره لا يتجاوز السبعة أشهر، كانت أوامر الجيش أن نبيد المنازل بمن فيها.

دخلتُ منزلها، وعبثت فيه، بدأت تبدي بعض المقاومة، فأخذتُ طفلها الرضيع من بين ذراعيها، وصوبتُ إليه رصاصتين في صدره، فمات من فوره.

جنّ جنونها، وهجمتُ عليّ لتضربني، لم تتمكن سوى من خدشي هذا الجرح البسيط، وقالت شيئاً عن عدل الله، ثم أطلقت عليها النار، فسقطت من فورها”

تركتُ قميصك، فاتجهت فوراً إلى علبة اللاصق الطبي، واستبدلته على الجرح الذي كان ينزف بشدة.

هذه كانت حياتك أنت وألين، يبدو أنكما حملتما المأساة وخرجتما متأخرين من صفوف الجيش.

هذا هو ما تحاول نسيانه، هذا هو ما تحاول أن تستغفر عنه،
هذا هو ما حرمك النوم، هذا هو.

لم يعد لدي ما أقول، وأظن أنك أيضاً قد لعبت آخر أوراقك،
ولكنني ما أزال أقف أمام هذه الأوراق، أعاهد نفسي ألا أسمح لك أن
تدخل متاهاتها.

قلتُ "أظن أنني أستطيع تسديد المال"
نظرت إليّ فقلتُ "امهلني حتى المباراة الأخيرة، سأحصل على
مبلغ كبير من المال، تستطيع أن تصلح به الشقة"
قلتُ "لست مضطراً لفعل ذلك"
"عدني فقط أنك لن تبيع شيئاً قبل ذلك"
سكت، وطأطأت رأسك، فقلتُ بحزم "عدني"
قلتُ أخيراً "حسناً أعدك، إلى آخر مباراة فقط"
"إلى آخر مباراة"



الفصل الخامس والسبعون

عرضتُ عليك النوم في منزلي ، ولكنك كنتَ تذهب إلى المعابد ،
ولم تقبل دعوتي ، حيث أن غرفتي صغيرة ، وأمامي مباراتان مهمتان .
تركتك وما تشاء ، المهم الآن أنك تنتظر مباراتي .
بات لديّ هدف كبير أحققه ، لم تعد المباراة الأخيرة هديّ
وحدي ، إنها هدفك أيضاً .

لقد بات الفوز يعني لي الكثير ، فلن أقبل أن تبيع إظفراً من
أظافرك مقابل المال وأنا حي أرزق .

تجهزتُ للمبارزة ، إنها قبل الأخيرة ، كان المنافس زميلاً
سابقاً ، لقد عدتُ إلى أيام كنت أعشقها ، ولكن الآن لدي ما هو أهم ،
وعليّ أن أركز كثيراً .

لم تكن بين صفوف المشجعين ، ولكنني أعلم أن لديك سبباً
وجيهاً لذلك ، لا بأس ، المهم أنك وعدت أن تنتظر .

بدأت المبارزة ، كان الحذر يسيطر عليها ، فكلانا كان يعرف
أسلوب الآخر ، ونقاط القوة والضعف فيه .

شعرتُ أن الشوط كان طويلاً ، التقطتُ أنفاسي عندما سمعتُ
صافرة الشوط الأول ، استراحة قصيرة كانت أمراً مهماً .

عدنا إلى الحلبة، أظن أنني كنتُ أهدأ منه، وهذا ساعدني على
أن أقلب مجرى المباراة لصالحني، وقد فُزْتُ في عدد النقاط، بدون ضربة
قاضية.



الفصل السادس والسبعون

بقيت مباراة واحدة، مباراة وأحقق حلمي، مباراة وأحل مشكلتك.

اتجهتُ إلى منزلك، كان على حاله ولم تكن فيه، شيء واحد كان ملحوظاً، لقد حاولتَ تنظيف الصورة على الجدار مجدداً. هناك عمل كثير في هذه الشقة، إنها تحتاج للكثير من المال والوقت لتعود كما كانت.

كذلك الصورة، إنها تحتاج إلى الكثير من التنظيف. أمسكتُ الممسحة، وبدأتُ أحاول تنظيف الصورة، لعلي أساعد.



الفصل السابع والسبعون

لم تعد إلى المنزل، ولم أقابلك ذلك اليوم، بل اكتشفت أنني كنتُ
أجهل كل ما يدور حولي، حيث وقفتُ على الحلبة في مباراتي
الأخيرة، وكان عدد الجمهور قد نقص إلى حد ملحوظ.
لم تحضر، ونادية لم تحضر أيضاً، عدد الجمهور كان قليلاً،
شعرتُ لحظتها أن المباراة ستؤجل بطريقة أو بأخرى.
استعداد، وقبل صافرة البداية صدر صوت مخيف في جميع
الأرجاء، إنه صوت إنذار أسمعته لأول مرة، بل سمعته من قبل في
شاشات التلفاز فقط.
إنه إنذار لجميع الناس أن يعودوا إلى منازلهم ولا يخرجوا
منها، إنه الإنذار الأكثر ذعراً في قلوب الناس.
انفض الجميع، وهرعا إليّ ليعيداني إلى المنزل ما أزال مندهشاً
مما يجري، إنها مباراتي الأخيرة، إنه حلمي، إنني هنا، ولكن في
لحظات سحباني إلى المنزل، إنها الحرب.



الفصل الثامن والسبعون

لقد كنتَ تعلم ذلك أكثر مني، لقد توقعتَ اندلاع الحرب القريبة بينما كنتُ جاهلاً، كيف لي أن أغفل عن شيء مهم كهذا، بل ماذا سيحل بنا الآن؟

وأين أنت؟ ليس لديك منزل تعود إليه، هل ما زلتَ في المعبد؟ وأي معبد كنتَ تترقاد؟ إنني لا أدري.

يبدو أن هناك الكثير من الأمور التي أجهلها، لماذا عليّ أن أنتبه إليها جميعاً في آن واحد؟

لماذا عليّ أن أهرب من مدينة إلى مدينة أخرى وأعاني فيها حرباً؟ هذه ليست مدينتي، وهؤلاء ليسوا عائلتي، إنني لا أملك شيئاً هنا.

أخيراً اضطرت لمشاهدة الأخبار على التلفاز، عليّ أفهم شيئاً مما يجري، كل التحذيرات كانت تعرض لحظة بلحظة، الخروج من المنازل ممنوع، استقبال أحد من خارج المنزل ممنوع، فتح النوافذ ممنوع، علينا إغلاق كل شيء بإحكام، بل هناك بعض المناطق التي نزل أهلها إلى الخنادق!

لم أكن قد شهدتُ حرباً من قبل، ولم أكن أعرف الرعب الحقيقي لها، كيف لنا أن نتصرف؟ وهل سنعيش؟

حاولتُ الاتصال بك هاتفياً، ولكن هاتفك مغلق، لم تكن نادية
أيضاً تحضر مباراتي، هذا يعني أنها كانت تعلم بما سيجري دون
أدنى شك، فوالدها عسكري.

مع كل هذا التوتر كان من الغريب أن التلفاز لا يعرض شيئاً عن
عدونا، من هو؟ ولماذا يغزوننا؟ وماذا سيحل بنا؟

هل هم على الحدود أم أنهم قد دخلوا البلاد؟

هل ينوون إبادتنا، أم استعبادنا؟

لستُ أدري، بل ليس هناك أحد يجيب عن هذه التساؤلات،
التي أعلم أنها تساؤلات السكان جميعاً.

ابقوا في المنازل، عزل تام، وماذا بعد؟ هل سيطلبون منا
المشاركة في القتال؟ ولماذا أفعل؟ أنا لا أنتمي إلى هذا المكان.

رن هاتفني، أجبته فإذا به ألين "آدم، هل أنت على ما يرام؟"

قلتُ "أنا بخير، ماذا يجري؟"

"لقد بدأت الحرب، ويجب أن نغادر"

"نغادر إلى أين؟ التجول ممنوع"

"اترك الأمر لي، سنسافر إلى الدولة المجاورة، تجهزوا

لتسافروا معاً"

"هل أستطيع أن أخبر إبراهيم أيضاً ليسافر معنا؟"

سكتَ ألين قليلاً ثم قال "فقط إبراهيم، لا أفضل أعداداً كبيرة"

"ومتى سنغادر؟"

"تجهزوا وانتظروا مكالمة مني، سيكون الأمر سراً"

أغلق السماعة، يبدو أن الأمر جاد، لماذا وضعني في هذه المدينة

إذا ما كان يعلم أن كل هذا سيحدث.

علي الآن أن أتصل بإبراهيم، ولكن هاتفه ما يزال مغلقاً.



■ الفصل التاسع والسبعون

بدأت أشعر بتوتر، لم أستطع التحدث إليك، وبدأ يجهزان الحقائق للمغادرة، وسيتصل ألين في أي لحظة.

علي أن ألقاك، علي أن أخبرك، عليك أن تغادر معنا، لا أريدك أن تعاني الحرب ثانية.

ماذا أفعل؟ الوقت ليس في صالحني، ووضع البلاد في تدهور. لم أستطع تمالك نفسي، فخرجتُ من المنزل رغم معارضتهما لي بشدة، واتجهتُ إلى منزلك.

كيف كنتُ أفكر؟ منزلك أكلته النيران، لن تكون هناك، فعلاً لم تكن هناك، هل بقيتَ في المعابد؟ وأي معبد؟ لم يكن لدي خيار سوى الإسراع إلى أقرب معبد عن منزلك، لعلني أجذك هناك.

لم يكن هناك أحد في الطريق غيري، ركضتُ بسرعة إلى أن وصلتُ أقرب معبد، فتحتُ الباب بسرعة، فكان الجو هادئاً، وكنتُ راكعاً في منتصف القاعة.

ما أدهشني هو الملابس السوداء التي كنتُ ترتديها، نظرتُ إليّ بعيون حزينة، ثم نهضتُ.

بعد أن امتصصتُ كل ما رأيته، اقتربتُ منك ببطء.
وقفتُ أمامك مباشرة، وقد كنتَ قد انضمتَ إلى صفوف
الرهبان، هل هذا ما كنتَ ترجوه؟ هل وجدتَ الخلاص الذي كنتَ
تبحث عنه؟

شيء واحد لم يتغير، اللاصق الطبي على أنفك، ما يزال هناك،
ونظرة حزينة في عينيك، ما تزال كما أنت.
قلتُ "أهلاً بك"

تذكرتُ ما جئتُ من أجله، فقلتُ بسرعة "إبراهيم، سنغادر
البلاد في أية لحظة، أريدك أن تتجهز بسرعة"
قلتُ "نغادر! إلى أين؟"

"لستُ أدري، أي بلاد مجاورة، تجهز بسرعة"
بقيتُ صامتاً مطأطئ الرأس، قلتُ منزعجاً "هيا، ليس لدينا
متسع من الوقت"

ولكنك قلتُ "هل تريدني أن أهرب؟"
أمسكتُ ذراعك بقوة وقلتُ "لا أريدك أن تعاني الحرب ثانية"
ولكنك قلتُ "أعاني! أنا لم أكن من يعاني، لقد سببتُ الكثير من
المعاناة لهؤلاء، لا أستطيع أن أهرب"
"ماذا تنوي أن تفعل؟ أن تبقى واقفاً هنا حتى يقتلوك؟ هل هذا
ما سيرحك؟"

”لست أدري، لم أعد أعرف ما أريد، ولكن كل ما أعرفه الآن أن الهرب مما فعلتُ هو آخر ما أريد“

”إنه مكان آمن، لست تهرب من شيء“

أشرت بالنفي وقلتُ ”إنه الهرب بعينه، أنت لا تملك ما تفعله هنا، تستطيع المغادرة، أما أنا... فوضعي مختلف“

”كيف تقول ذلك؟! لقد ركضتُ إلى هنا بأقصى سرعة! لقد خالفتُ منع التجول لأن هاتفك لا يعمل! لقد ذهبتُ إلى منزلك فلم تكن هناك، فبحثتُ عنك في المعابد! هل هذا ما ألقاه من إجابة! هذا ليس الوقت المناسب للكلام، المهم أن نبتعد من هنا“

”بل إن نقاشنا هذا قد انتهى، ولن أغادر مهما كلف الثمن“
تركتُ يدك يائساً من إقناعك، فقلتُ ”إني جد شاكر لما تفعل، ولكن عليك العودة إلى منزلك بسرعة“

رفعتُ القلادة التي كانت حول عنقك، إنها ذات القلادة التي قدمتها لي من قبل، ميزتها جيداً برسمة القارب.

قدمتها إليّ وأنت تقول ”عدني أنك ستعود عندما تنتهي الحرب“
نظرتُ إلى القلادة بين يديك، حدقتُ فيها جيداً ثم قلتُ ”آسف، لا أستطيع أن أعدك بذلك“

تركتُ القلادة في يدك، وغادرتُ المكان.

الفصل الثمانون

أحمق! كيف تفكر بهذه الطريقة؟ هل تريد أن تموت؟
إذا ما علم أحدهم أنك كنت في الحرب الماضية فإنها النهاية،
هل هذا ما يرضيك؟
لقد حصلتُ على فرصة جديدة، فلماذا لا تريد أن تحظى بفرصة؟
جهزتُ أمتعتي، لستُ أدري ما آخذ وما أترك، لم يكن هناك
الكثير مما هو خاصتي، كل ما في الغرفة كان هنا قبل أن أحضر.
فكرتُ في الأمر، ربما كان عليهما أن يحضرا حاجياتي، أليست
هذه أمتعة ولدتهما.

دخلتِ الغرفة، فرأتني لا أدري ماذا أحمل، فقالت "لا تفكر
كثيراً، احمل ما هو ضروري، قد نغادر في أية لحظة"
ولكنني قلتُ "أفكر لو أنكِ قمت بهذا العمل عوضاً عني"
"لماذا؟"

"هذه الحاجيات مهمة بالنسبة لك أكثر مني، ربما تحبين أن
تحتفظي بشيء منها"
جلستُ على الفراش، ونظرتُ إليّ وقالت "بل اختر ما تشاء،
فلم تكن هذه الحاجيات ملكاً لأحد"

نظرتُ إليها متعجباً، فقالت "لم يسكن هذه الغرفة أحد"

قلتُ "ألم يكن ولدك يسكن هنا؟"

"تمنيت أن يكون، ولكنه لم يكن أبداً"

لم يكن لدي ما أقول، كنت أظن أن صاحب الغرفة قد غادر أو

توفي، وها أنا الآن أشعر بفراغ كبير في الغرفة.

قالت "لقد كنتُ أغيّر فيها كل عام، كما لو كان قد ولد منذ

عشرين عاماً، الثياب، الكتب، كل الحاجيات، أنا سعيدة أن أحدهم

استخدمها"

كل ما استطعتُ قوله "أنا آسف"

"ليس عليك أن تعتذر، خذ ما تحب، فأنت ولدي الآن"



■ الفصل الحادي والثمانون

اتصل أليين بعد فترة وجيزة، وعين المكان والزمان الذي نلتقي فيه، كنتُ أظن أننا المغادرون الوحيدون، أو على الأقل عشرة آخرون، ولكن العدد كان كبيراً، ما يقارب المئتين. لم تحضر، لقد كنتُ جاداً فعلاً، لم أكن لأغير قرارك، ولكن... هل سأراك ثانية؟

هذه هي الحروب، تفرق الجميع، أريد أن أكسر هذه القاعدة ولكنني أشعر بالضعف، لا أستطيع أن أشارك في حرب لا أمت لها بصلة، ولماذا أفعل؟ أنت لديك الدافع الكبير لذلك، أما أنا فلا أنتمي هنا.

تجهزتُ الحافلات، ستغادر إلى بلاد مجاورة محايدة، ولكن ماذا بعد ذلك؟

ربما كان لأليين معارف هناك، ربما سيساعدنا، ولكن ألم يكن أليين ممن اشترك في الحرب، ألا يهرب منها؟ أم أنه عزم على إنقاضي فحسب؟

ولماذا يضعني في عائلة تعاني من مشاكل نفسية؟ غرفة لولد لم يولد! أشعر أنني ألعب دوراً سخيلاً في العائلة.

لم أعد أريد أن أفكر، كم مرة عليّ أن أبدأ حياة جديدة؟ لقد
كانت حياتي جميلة هنا، لماذا عليها أن تنتهي هكذا؟
تحركت الحافلة بسرعة، لم أشعر إلا وأنا أنظر إلى المدينة
تبتعد، وداعاً يا أيامي الجميلة، وداعاً.
لحظتها بدأت أسناني تؤلمني، إنه... ضرس العقل!



الجزء الثاني

على لسان إبراهيم

الفصل الثاني والثمانون

بقيتُ في المعبد أنظر إلى قلاذتي، هل لدي ما تبقى في هذه الدنيا؟
هل انفصلتُ عنها نهائياً؟

سمعتُ صوت الباب يفتح، نظرتُ خلفي فإذا بها نادية.

دخلتُ تقول "لقد رفضتَ المغادرة أليس كذلك؟"

قلتُ "نعم، ألن تغادري أنتِ؟ المكان بات خطيراً"

"لقد بعثني والدي، إنه فخور أنك لم تهرب"

أشحت برأسي، إن إطرأه كان آخر ما أريد، فتابعته تقول "إنه

يطلب إليك أن تنضم إليه، البلاد بحاجة ماسة إلى كل مقاتل"

لم أتردد في الإجابة لحظة "آسف، لن أفعل ذلك، لم أبق هنا

للقاتل"

"فماذا تفعل إذن؟"

لم يكن لدي جواب تفهمه نادية، كل ما استطعتُ قوله كان "لا

أريد أن أقتل أحداً"

انفعلتُ نادية تقول "ولكنهم هنا ليقتلونا!"

ابتسمتُ وقلتُ "كما قمنا بقتلهم من قبل"

"هل تريد أن يقتلونني؟"

نظرتُ إلى نادِية بعيون حزينَة، واقتربتُ منها وقلتُ "أما أنتِ
فعليك أن تغادري، هذا كل ما أستطيع تقديمه لك"
"سأغادر، ولكن لأن والدي طلب إليّ ذلك، أما أنتِ فوضعك بات
غريباً"

"ربما"

"لقد توقفتُ هنا لأسلمك الرسالة فقط، البلاد بحاجة إليك، فلا
تقم بخيانتها في أصعب أوقاتها"
لم تكن هذه الكلمات سهلة أبداً، ولكنها أيضاً لم تكن تفهم
معناها.

غادرتُ نادِية المعبد، بمغادرتها أعلم أنها غادرت البلاد، لم
يبق أحد، نادِية وآدم في أمان، وأنا هنا لأدفع ثمن ما فعلتُ، فهل أنا
راضٍ؟



الفصل الثالث والثمانون

مضت ساعات، والهدوء يخيم على المكان، ماذا أنتظر؟ ألم يدخلوا البلاد بعد؟

مضحك ما أقول، إذا ما دخلوا البلاد فسيعلم الجميع ذلك، وسيكون وقعهم مدوياً بلا شك، وسيأكلون الأخضر واليابس. أقل ما في الأمر أنهم سيفعلون ما فعلناه بهم، سيقتلون الناس، ويهدمون البيوت، ويحرقون الأشجار.

ستُسفك الدماء، وستنهب الطرقات، وستصبح المدينة حمراء بلا شك.

هل أردت أن أرى ذلك المنظر؟ كلا، ولكن هذا ما اقترفته، ليتني أدفع ثمنه وحدي، ولم أعرض بلادي لمثل ذلك.

لا أريد أن يحصل ذلك، ليتني تمردت منذ البداية، ليتني فكرت، ليتني تصرفت، لم أكن لأقف هذا الموقف، أنا المذنب، أنا السبب.

يا إلهي، ماذا عليّ أن أفعل؟ أن أدافع عن البلاد لأحمي أهلها من شر مقدم؟ أم أن أجلس هنا أنتظر الدمار؟ لم أعد أدري، لم أعد أعرف ما أفعل!

لم أقع في حيرة كهذه في حياتي، كل المشاعر تنتابني، ذنب،
خوف، حزن، متى سأرتاح؟

متى ينتهي كل هذا؟
كُسر الصمت أخيراً، وفتُح الباب.

نظرتُ خلفي فإذا بمجموعة من الرجال يقفون على باب المعبد،
يلبسون ثياب المقاتلين، ويحملون أسلحتهم.

وقفتُ أستقبل الموت، لقد وصلوا أخيراً.

قال أقربهم "المكان آمن، لا كمين"

قال الآخر "رهبان فقط"

فقال قائدهم "أخفضوا أسلحتكم"

كان المعبد مصمماً على أن يحوي بابين يقابل أحدهما الآخر،
وكان على الجيش أن يمر بالمعبد ليدخل من مدخله الأول ويخرج من
الثاني كي يكمل مسيره، وقد كنتُ أقف في منتصف الطريق.

ها قد حانت الساعة، ها أنا ذا أمامهم ليأخذوا بثأرهم.

دخل القائد أولاً، وسار في المعبد خافضاً سلاحه، ودخلتُ خلفه
كتيبته المؤلفة من ثلاثين شخصاً، كلهم خفضوا السلاح.

قال القائد "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوا وليداً،

لا تقتلوا امرأة، لا تقتلوا طفلاً، لا تقتلوا شيخاً، لا تحرقوا زرعاً، لا

تهدموا بيتاً، ستجدون رهباناً تفرغوا للعبادة في الصوامع فلا تقربوهم"
كانت هذه أول مرة أسمع فيها شيئاً كهذا في حياتي! هل هذه
قواعد هذا الجيش؟ إنه خلاف ما فعلنا! إنه خلاف أوامرنا!
مر القائد إلى جانبي، ولم يصبني بأي أذى، بل سمعته يقول
"السلام عليكم"

لم تخرج أي كلمة مناسبة من فمي، فما زلتُ في هول الصدمة.
كذلك سار الجيش بأكمله إلى جانبي، ولم يمسنني أحدهم بأي
مكروه، بل لم أسمع أحدهم ينطق بأي كلمة تسيء إلينا.
ولكنني استوقفتُ القائد قائلاً "يا قائد الجيش"
توقف القائد، ونظر إليّ، فقلتُ "أهذا فقط ما تفعلون؟ ألن
تأخذوا بثأركم منا؟"

أجاب بتواضع "نحن لا نثار من أحد، ولا نقتل الرهبان، فهذا
ما أمرنا به إسلامنا ونبينا الكريم"
قلتُ "ولكنني قتلْتُ منكم الكثير، بل إنني قتلْتُ الأطفال والنساء"
نظر إلى ثيابي وقال "يبدو لي أنك تركت ذلك"
"أجل"

"بني، نحن لا نقاتل من لا يقاتل، إلى أن تحمل سلاحك وتخرج
من المعبد فأنت في أمان"

وعاود السير.

كل ما خطر ببالي أن أنظر إلى المدينة بعد أن ساروا فيها،
فركضتُ إلى الباب الذي دخلوا منه، فنظرتُ إلى الطرقات.

كل البيوت قائمة، كل الأشجار خضرة، كل الطرقات نظيفة،
كل الناس في بيوتهم آمنون! إنهم فعلاً يعنون ما يقولون، لم يقتلوا من
لا يقاتل، لم يهدموا بيتاً، ولم يقطعوا شجرة.

بل إن الهواء عليل، أشتَم رائحة المسك في الطرقات، إنه خير
يعم المكان.

نزعْتُ اللاصق الطبي عن أنفي، فإذا بالنزيف قد توقف لأول
مرة خلال أكثر من ثلاث سنوات! لقد علمتُ أنه توقف، هذا الهواء
العليل كاف لإيقافه.

أي حرب هذه؟

ركضتُ إلى القائد وقد كان قد خرج بالجيش من الباب الثاني،
استوقفته ولكن الجيش حام حولي، طلب إليهم القائد أن يسمحوا لي
بالاقتراب منه، فاقتربتُ وسألتُ "من أنتم؟ كيف أصبحتم هكذا؟"

أجاب "إسلامنا يأمرنا بذلك، ونبيننا علمنا أخلاق الإسلام، نحن
مسلمون"

"أريد أن أكون منكم، كيف لي أن أصبح كذلك؟"

”إذا ما كنتَ فعلاً تريد ذلك، ما عليك إلا أن تتبعنا“
كان هذا سهلاً للغاية، تبعتُ الكتيبة في مسيرها، كان سيراً
لطيفاً سلساً، لم يدخلوا منزلاً، ولم يقلقوا أحداً، ولم يتعرض لهم أحد
بمكروه، لقد كان دخولهم مسالماً جداً.
حتى جيش المدينة نفسه كان الناس يخافونه أكثر! ما هذه
الأخلاق، ما هذا التواضع، ما هذه القوة، ما هذه الهيبة! هذا حق،
هذا حق.



الفصل الرابع والثمانون

تبعْتُ الكَتِيبَةَ إلى أن اتصلت بالكتائب الأخرى وسط المدينة،
وخرج الناس من بيوتهم، واجتمع الحشد ليستمع إلى القائد العام،
الذي بكل تأكيد سيكون رئيسهم الجديد.
جلستُ مع الكتائب بينما جلس العامة في الساحة، وصعد
الخطيب يتكلم.
لم يكن يرتدي ثياباً فاخرة، لقد كان بسيطاً، وقف أمام السماعه
وقال:

”بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ

الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّبَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا ﴿٧﴾

صدق الله العظيم.

الحمد لله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل
شيء قدير.

الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود، مصور كل مولود،
وموئل كل مطرود.

مرسل الأمطار، عالم الأسرار، مكوّر الدهور.
لا إله إلا هو، لا إله إلا هو، أرسل محمداً علماً للإسلام وإماماً للحكام،
رحم آله وأهله الكرام.

اعملوا رحمكم الله أصلح الأعمال، واسلكوا مصالح الحلال،
واطرحوا الحرام ودعوه، واسمعوا أمر الله وعوه، وصلوا الأرحام
وراعوها، وعاصوا الأهواء واردعوها.

أسأل الله حكماً أحمد وصاله، ودوام إسعاده، وإصلاح حاله.

والحمد لله، والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم

هتف الجيش بكل قوة "الله أكبر! الله أكبر!"

ثم عاود القائد الكلام موجهاً حديثه لعامة الشعب "أيها الناس، لا ظلم اليوم، أنتم آمنون في منازلكم، ونحن آمنون في منازلنا، ستنشأ المساجد، وسيعلموا ذكر الله فيها، وستبقى معابدكم لمن يتعبد فيها.

ستتعلمون الكثير عن الإسلام، وعن نبي آخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم، ولن شاء أن ينضم إلى المسلمين فله ذلك، حراً مختاراً لا مجبراً مكرهاً.

ستصان الحقوق، ويعم السلام، وتنتهي الحروب، فمن طاله منكم أذى أثناء حربنا، فليتقدم ويطلب ما يشاء"

سكت الخطيب، ولم ينطق أحد بكلمة، فأعاد ما قاله "من طاله منكم أذى أثناء حربنا، فليتقدم ويطلب ما يشاء"

فلم ينطق أحد بأية كلمة، ليس هناك من خسائر، لم تشتعل الحرب إلا على الحدود مع المقاتلين، ولم يمس المواطنون أذى من أي نوع، إنها أخلاق الحرب.

تابع الخطيب "فلتعد حياتكم إلى ما كانت عليه، افتحوا أسواقكم، ومدارسكم، ومواصلاتكم، أنتم أحرار"

وقف أحد الحاضرين يقول "ألن تلاحقونا في الشوارع وتقتلوا أطفالنا؟"

قال الخطيب مؤكداً "هذا ظلم لا يصنعه مسلم"

قالت امرأة من الحاضرين "ألن تأخذوا أموالنا؟"

أجاب الخطيب "ليس لنا حق فيها"

قال آخر "فماذا صنعتكم؟"

أجاب الخطيب "قمنا بحماية أرضنا من تسلط وجهائكم، وأعدنا

العزة لديننا، وعرفناه لكم، كما طلب إلينا الله ورسوله"

قال أحدهم "من يدخل دينكم؟"

أجاب "من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن

محمداً صلى الله عليه وسلم، الذي علمنا ديننا هو عبده ورسوله"

هنا وقفتُ وقلتُ "أشهد أنه دين الحق، أشهد أن لا إله إلا الله،

وأن محمداً رسول الله"

كبرتُ الكتيبة التي كنتُ أجلس بينها، ثم عم التكبير المكان،

ونهض العشرات من الناس أيضاً شهدوا بوحدانية الله، وآمنوا بالدين

الحق.

بل إن الخير عم المدينة أكثر من أي يوم آخر، والسعادة

ارتسمت على الوجوه، لقد بتنا أخوة متحابين بعد عداء دام سنوات.

وتعلمتُ الصلاة لأول مرة، وسجدتُ أول سجدة خالصة لله

وحده، وما إن وضعتُ أنفي على الأرض حتى تلاشت الذببة عنه إلى

الأبد، إنه الحل، الحل الذي بحثت عنه طويلاً، لقد حللتُ مشكلتي.

الفصل الخامس والثمانون

بتّ مقرباً من قائد الكتيبة التي التقيتها أول مرة، حدثته عن كل ما كنا نفعل في الجيش، وكل ما تعلمناه، وكل الأوامر التي كانت تلقى إلينا بكل حزم، وحدثته عن الكوارث بالتفصيل، وكل ما فعلناه في كل منزل.

ربما لم يكن حديثاً جميلاً، ولكنه أنصت إليه جيداً. أخيراً كان علي أن أعود إلى منزلي، ولكن... منزلي أكلته النيران.

شعر القائد أن هناك خطباً ما، فأخبرته أن منزلي أكلته النيران قبل الحرب ببضعة أيام، ويحتاج إلى الكثير من العمل والمال، فعرض عليّ المساعدة.

ظننت أنه سيقوم بإعانتني ببعض المال، ولكنني فوجئت به إذ حضر مع أفراد الكتيبة يقومون بالعمل في تصليح المنزل بأيديهم. لم أتصور أن كتيبة جيش تفعل شيئاً كهذا، ولكنهم كانوا سعداء بالمساعدة، بل كان الجميع يمرحون ويضحكون، لقد بت فرداً في العائلة.

أنهينا العمل خلال أسبوع، وعاد منزلي أفضل مما كان عليه،

وحصلتُ على مبلغ جيد من المال كما حصل عليه معظم المحتاجين من السكان، وعلمتُ أن راتباً شهرياً سيصرف للجميع إضافة إلى ما سيجنون من أعمالهم.

باتت الحياة أسهل بكثير، لم أعد قلقاً على شيء، أستطيع أن أكمل دراستي، أستطيع أن أعمل براحة نفسية، وليس عليّ أن أقلق على شيء.

أشعر أنني بت أعيش في كوكب آخر.



الفصل السادس والثمانون

مرت بضعة أسابيع، واستقرت الأوضاع تماماً، وتعلم السكان الكثير عن الإسلام، فأمنوا به، واتبعوا نهجه طائعين سعيدين.

لم تنعم دولتنا بالسعادة والأمان كما هي الآن، ليتني كنت أعلم أن شيئاً كهذا سيحصل في حياتي، لكنتُ نمت قريير العين.

عرض عليّ القائد أن أنضم إلى الجيش، حيث كنتُ جندياً من قبل، ولن يصعب عليّ ذلك، ولكنني أخبرته أنني أرغب بقسط من الراحة، أريد أن أنعم ببعض الهدوء، ربما انضمت إليه في وقت لاحق، فأنا يشرفني أن أكون ضمن جيش ذي أخلاق فريدة كهذا الجيش.

تركني القائد كما أشاء، ولكنه أخبرني أن هناك سلسلة من القصصات ستنفذ في الساحة العامة.

هم أناس تعرضوا للجيش بالأذى، وحاربوا بضراوة، وامتنعوا عن كل اتفاق.

أناس ساهموا بقوة في الحروب الماضية، والحرب الحالية.

أناس رفضوا كل فرصة للتخلي عما يفعلون، والخضوع للمسلمين.

وقفتُ في الساحة فكان أول المجازين والد نادية.
تصورتُ الموقف الذي أقف فيه ، ماذا سأقول لنادية ! نظرتُ إلى
القائد ، فقال لي "لقد كان قائدك"

قلتُ "هل جعلتني أتحدث عن المعارك التي خضتها لتدينه؟"
قال "كلا ، لقد كان مداناً منذ زمن ، ولكنك فقط أثبت الأمر"
كان الحزن بادياً عليّ ، فقال "هل أنت حزين على شخص
مثله؟"

قلتُ "الحقيقة ، إن له فتاة في مثل عمري ، أعرفها معرفة جيدة ،
وهي فتاة رائعة"

نظر القائد إلى والد نادية وقال "خسارة ما يفعله هؤلاء بأهلهم"
لم أعد أعرف ما أفعل ، بل لم يكن بيدي ما أفعله ، أعلم تماماً
أنه يستحق أكثر من ذلك ، ولكن... ماذا سأقول لنادية إذا ما صادفتها
مرة في الحياة؟

نُفذ الإعدام بسرعة ، ولم أستطع أن أشاهد المنظر ، بل بدأت
عينايا تدمعان رغماً عني ، لن تسامحني نادية على ما حصل.



الفصل السابع والثمانون

استقرت الأوضاع تماماً، وأكملتُ دراستي الجامعية، وتخرجتُ
بعلامات جيدة.

الأفضل من هذا كله أنني بتُ أنام بهدوء، قرير العين، دون
الحاجة إلى أي مهدئ، وبت أعلم أنني إنسان جديد، حيث تعلمتُ أن
الإسلام يمحو ما قبله.

هذه كانت أسعد أيام حياتي، لو كنتُ أضمن مستقبلاً مشرقاً
كهذا منذ البداية لما خفت الخروج من الميتم، لما اضطررت للسير في
طرق أعلم أنها ملتوية، لما فعلتُ أموراً كثيرة مما فعلت.

الحمد لله، هذه حياة لم أكن حتى أحلم بها على الأرض، أما
الآن فقد بت أيضاً أحلم بأفضل منها في السماء، هذا فضل كبير سأشكر
الله عليه ما حييت.

الآن بعد التفرغ النفسي الكامل، وبعد أن تعلمتُ الكثير مما كان
علي أن أعرفه عن الإسلام، بدأتُ أفكر بالآخرين.

آدم، ماذا تفعل الآن؟ بل أين أنت؟

كل الناس الذين غادروا أثناء الحرب اتجهوا إلى الدولة
المجاورة المحايدة، هل بقيتَ هناك أم أنك غادرتها إلى مكان آخر؟

أعلم أنك لستَ صاحب القرار في كل هذا، أعلم أن أَلين هو من
ينقلك هنا وهناك، فكيف لي أن أتصل بك؟
بدأتُ أستفسر هنا وهناك، لا بد أن أحداً يعلم عن الفارين، بل
إن بعضهم قد حزم أمتعتهم وعاد إلى منزله هنا بعد أن ضمن الاستقرار
والأمان.

ذهبتُ إليهم، وسألتهم عن آدم، معظمهم أخبرني أن الجميع
انتقلوا إلى نفس المدينة في الدولة المجاورة، وسكنوا هناك معاً،
ولكنهم لم يعرفوا شيئاً عن آدم.

سألتُ عن نادبة، فكانت الإجابة أوضح، إنها تسكن مع أمها
هناك، ولا تنوي العودة بعد مقتل والدها.

حصلتُ على عنوان نادبة، ربما تعرف نادبة منزل آدم، فهي
الأقرب إليه بين الجميع.

حزمتُ أمتعتي وقررت السفر، سأعود لألقى أحبائي، نادبة
وآدم، لقد اشتقتُ إليهما كثيراً.



الفصل الثامن والثمانون

ودعتُ أصدقائي الجدد، وطلبتُ إليهم أن يدعوا لي أثناء غيابي حتى أعود سالماً إليهم.

لم تكن الدولة المجاورة شديدة على المسلمين، ولكنها أيضاً لم تكن دولة إسلامية، لم أكن خائفاً من الذهاب إلى هناك، ولكن شيئاً كان يقول لي أنني سأواجه الكثير.

حزمتُ أمتعتي، وركبتُ طائرة أوصلتني إلى المدينة التي أريد مباشرة.

كنتُ أفضل فعلاً أن أقابل آدم أولاً، حيث أعلم أن نادية الآن تشكو مقتل والدها، وأنني لم أحاول مساعدته على الإطلاق.

لم يكن لدي خيار آخر، ذهبتُ إلى العنوان الذي أملك، كان منزلاً بسيطاً لا يقارن بالمنزل الذي كانت تسكنه.

فتحتُ أم نادية الباب، وعرفتني فوراً، وكانت سعيدة جداً برؤيتي. لقد وجدتُ بي حلاً لكآبة نادية على ما أظن، ولكن الأمور لم تسر بهذه السلاسة.

كانت نادية تحبس نفسها في غرفتها، تجلس على الفراش طول اليوم، رغم أن مقتل والدها مر عليه زمن طويل.

يبدو أنها لا تريد أن تعيش حياة جديدة، يبدو أنها تريد كل ما كانت عليه من قبل، يبدو أنها لم تتخيل يوماً أن يحصل كل هذا. فتحتُ أم نادية باب غرفتها، وقالت لنادية "لقد حضر أحدهم لزيارتك"

دخلتُ الباب، فنظرتُ إلي بطرف عينها لتكتشف أنني إبراهيم! تفاجأت وفرحت كثيراً برؤيتي، ونهضتُ من الفراش تعانقني، يبدو أن وجودي كان له وقع كبير، وذكرى للأيام الجميلة. طلبتُ إلي الجلوس، فقد كان هناك الكثير لنتحدث عنه، ففعلتُ، وسعدتُ لتغير نفسيته بوجودي، إنها تضحك وتمرح، لقد تغيرت الأجواء كثيراً عما كانت عليه.

وقد لاحظتُ أنني لم أعد أضع اللاصق الطبي على أنفي، فضحكتُ لذلك وقالت أنها كانت تحب منظر اللاصق عليّ، وهي لا تعلم شيئاً عن حكاية الجرح.

تبادلنا أطراف الحديث إلى أن بدأنا نتحدث عن والدها، وبما أنني لم أخبرها بعد أنني اعتنقت الإسلام كانت صريحة في كرهها له، وأن المسلمين قد قتلوا والدها، وأنهم قد احتلوا الأرض...

كنتُ قادراً على رد كل ما قالت، ولكنني لم أفعل، لم أستطع فعلاً أن أزف لها خبر إسلامي مرة واحدة، فأنا أعلم تماماً كيف

تشعر، وأعلم أنها لن تستقبل الأمر بشكل جيد، ربما تموت من فورها
أو تقتلني!

كل ما استطعتُ قوله أن البلاد آمنة الآن، وتستطيع العودة إليها
متى تشاء، ولن يتعرض لها أحد بأي أذى، ولكنها رفضت أن تدخل
البلاد التي أخذت من والدها، وأن تكون إلى جانب الأشرار كما
وصفتهم.

حسناً، ربما يكون الموقف صعباً بالنسبة إلى نادية، فقد فقدتُ
الكثير في هذه الحرب، ولكن ربما يكون حظي أوفر مع آدم، فسألتها
إذا ما كانت تعرف أخباره.

أجابتنني بكل بساطة ووضوح أنه يسكن المدينة المجاورة مع
والديه، وقد قام بزيارتها عدة مرات، وعنوانه لديها رغم أنها لم تزره
أبداً حيث اعتزلتُ منزلها.

أخذتُ العنوان، الحمد لله كان ذلك أسهل مما ظننت، ثم
استأذنتُ للخروج إليه، فقد اشتقتُ لصحبته كثيراً.
أصرتُ على البقاء مدة أطول، بل المبيت الليلة، ولكن كان عليّ
الذهاب، استأذنتها وأعلمتها أنني سأزورها ثانية.

الفصل التاسع والثمانون

خرجتُ من فوري إلى عنوان آدم، لم يكن بعيداً، وصلتُ إليه بسهولة.

منزل بسيط بحديقة صغيرة، ويبدو أن له حديقة خلفية أيضاً. طرقتُ الباب، ففتحتُ لي أم آدم، أو التي كنتُ أظنها أمه منذ زمن، ويبدو أنها قد تذكرتني، فقد اندهشت لرؤيتي كثيراً، ثم ابتسمتُ ترحب بي، وأدخلتني تقول أن آدم لن يصدق ذلك.

كانت الدمعة ستسقط من عيناها! لم أكن أتوقع أن أترك أثراً كبيراً في الناس في الأعوام الماضية، لقد كان ذلك غريباً.

ركضتُ في المنزل تنادي آدم، ولكن زوجها كان من حضر، ونظر إليّ كأنه ينظر إلى شبح ما! لماذا لا يصدقون ما يرون؟

أخيراً علمتُ أن آدم يجلس في الحديقة الخلفية، فطلبتُ إليهما ألا يعلماه بقدومي، وسأذهب إليه بنفسِي.

دخلتُ الحديقة، فكان آدم يجلس على كرسي يقرأ كتاباً، اقتربتُ منه بهدوء إلى أن انتبه إلى وجودي، ونظر إليّ دون أن ينطق بأية كلمة، أظن أن كل التعابير قد خانتها في تلك اللحظة، ولكنه ترك الكتاب يسقط من يده على الأرض، واحتضنني بحرارة.

نظر إليّ والدموع في عينيه يقول "أنت بخير!"

قلتُ "في أحسن حال"

جلس على كرسيه ببطء وقال "لقد أخبروني أنك..."

لم يكمل كلمته، قلتُ "ماذا؟"

قال "أكلتُك النيران مع المعبد"

لم أصدق ما أسمع! من يطلق إشاعة كهذه! جلستُ إلى جانبه

وقلتُ "لم يحصل شيء من هذا القبيل، ولم يحرق المعبد أساساً، إنه

قائم وفي أحسن حال"



حدّق في طويلاً، ثم وضع يده على خدي وقال "الندبة"
ابتسمتُ وقلتُ "لقد تلاشت تماماً" ثم أمسكتُ يديه وقلتُ "لقد
وجدتُ الحل، الحل لكل المشاكل، مشكلتي، ومشكلتك، وكل شيء"
ابتسمَ سعيداً بهذا الخبر، وقال "هذا مدهش! ماذا حدث؟"
قلتُ "إنه الإسلام"

تغيرتُ ملامحه فجأة وكأنني ألقيتُ حجراً على رأسه، وسكتنا
عن الكلام، هو يبتلع ما ألقيناه إليه بصعوبة، وأنا أحاول أن أعطيه
الفرصة الكافية لابتلاعه.

حدق في الأرض، في الطاولة، على الأشجار، نظر إلى أي مكان إلا
وجهي، إلا عيني الصافيتين.

قلتُ "ماذا أخبروك بعد"
نظر إليّ أخيراً، وقال "هل أنت جاد؟"
"لم لا؟"

ابتسم ابتسامة ساخرة وقال "لا أصدق أنك تقول ذلك"
قلتُ لك "ألا ترى أن الندبة قد تلاشت"
"تلاشت لأنها قد تلاشت مع الزمن"

"إذا ما كان ذلك صحيحاً فقد كان عليها أن تتلاشى منذ سنين
وأنت تعلم ذلك" أشحت برأسك ساخراً، فقلتُ "لا أصدق أنك تكذبني"

قال "أنا لا أكذبك، ولكن هل هذا هو اللقاء الذي كنتَ تحلم به؟

لماذا حضرتَ إلى هنا؟"

"حضرتُ لأنني اشتقتُ إليك"

حدّق في لحظة ثم قال "لقد تغيرتَ، علمتُ من اللحظة الأولى أن

شيئاً كبيراً فيك قد تغير"

"إلى الأفضل"

"لستُ أدري"

قلتُ أحاول تلطيف الجو "لقد قابلتُ نادية، هي من دلني على

عنوانك"

قال موجهاً كلمة قوية إلى نفسي "التي قَتَل المسلمون أباه"

سكتُ، فنظر إليّ يظن أنه الحلقة الأقوى في النقاش، وقال "هل

أخبرتها أنك أسلمت؟"

قلتُ "ليس بعد، ظننتُ أنك ستستقبل الأمر أفضل منها"

"لقد كان والدها أقرب إليك، كيف تسكتُ على شيء كهذا؟"

نظرتُ إليه بجدية وقلتُ "من تظن كان والد نادية؟ هل كنتَ

تظنه الإنسان الشهم الشريف؟ آسف لإخبارك أنه ليس كذلك، لقد كان

طاغية أمام الجميع، لقد كان يأمرنا بالقضاء على الأخضر واليابس، لقد

صنع منا وحوشاً لم نستطع التخلص من كوابيسها مع السنين"

تجاهل ما قلتُ، وعاد إلى البداية "ولكن نادية حزينة عليه
كثيراً"

"أعلم ذلك، وأريد أن تخرج من حزنها هذا، يجب أن نفعل
شيئاً"

"لم أستطع فعل أي شيء، عليك أن تقوم بذلك بنفسك، فلم أكن
من تحتاج طول الوقت، أنت هنا الآن، وباستطاعتك مساعدتها، على
ألا تخبرها بما تخبرني به الآن!"

"أود فعلاً أن تفهم الموقف كاملاً، ولكنني لا أعلم كيف"
ابتسم ونهض يقول "لن تفهمه، فلا تحاول، لقد مسخوا دماغك
على ما يبدو"

نهضتُ منزعجاً وقلتُ "لم يحصل شيء من هذا القبيل، أنت لم
تر ما رأيت، إنهم أناس أمينون، صادقون، شجعان، لا يهابون إلا
الله، وحياتهم متصلة به وحده، إيمانهم قوي، وأقوالهم أفعال"
"حسناً حسناً، لن يجدي ما تقول نفعاً"

"عليك أن تعود لترى كيف صارت عليه دولتنا، لقد أصلحوا لي
منزلي دون مقابل"

نظر إلي وتذكر "لم تبع شيئاً من أعضائك إذن"
"لم أكن مضطراً إلى ذلك، لقد اعتنوا بي"

"على أي حال ، أنا لن أعود إلى تلك البلاد ، كما قلتُ لك سابقاً ،
لا انتماء بيننا ، وكل ما كان لي في تلك البلاد هو أنت ، وها أنت هنا"
"ولكنني سأعود"
سكت ، ثم ابتسم وقال "هكذا؟"
"لقد حضرتُ من أجلكما فقط ، لأنني اشتقتُ إليكما ، وإلى الأيام
الجميلة"
"كانت كالخيال"
"نستطيع أن نعيش معاً ثانية ، صدقني ، الأوضاع باتت أفضل مما
كانت عليه ، سنكون سعداء"
"القرار ليس بيدي"
"أستطيع أن أكلم ألين بشأن ذلك ، أريد موافقتك فقط"
فكر وفكر ، ثم قال "لن تعود نادية معك أبداً"
"أريد موافقتك أنت الآن"
ولكنه أشار بالنفي ، وقال ثانية "ليس لي شيء هناك ، وإبراهيم
الذي عرفته لم يعد من عرفتُ"



الفصل التسعون

يبدو أن الحظ لم يحالفني، سأحتاج إلى فرصة ثانية وربما ثالثة ورابعة لإقناعهم.

هل ألومهم؟ هل يصعب عليهم استيعاب ما يجري إلى هذه الدرجة؟ هل كنت سأتصرف مثلهم إذا ما كنت في مكانهم؟ ماذا إذا ما أسلم آدم قبلي، هل كنت سأستقبله بصدر رحب؟ يتوجب علي أن أصبر، فهي صدمة كبيرة بالنسبة لهما، لقد كان المسلمون أعداء لسنين، فيكف لهم أن يغيروا نظرتهم في يوم. بتُّ الليلة في فندق، وفي اليوم التالي كان علي أن أزور أحدهما، فعدت إلى نادية.

كان استقبالها حافلاً، كانت سعيدة جداً، وقد استبدلت ثيابها، وسرّحت شعرها، وجهزت مائدة شهية للإفطار.

لحسن حظي كان الإفطار لا يحوي محرّمات في معظمه، وإلا لكان قد انكشف أمر إسلامي بسرعة، وتخيلت لو أنني حضرت في وقت الغداء ماذا كنت سأفعل؟

جلسنا وتحدثنا في أمور سعيدة، أحب فعلاً أن أراها مبتهجة، أنا سعيد أنني أستطيع أن أخرج إنساناً من وحدته وحزنه، ولكن هل سيدوم ذلك طويلاً؟

أخبرتها أنني قابلتُ آدم، فسألتنني عن أخباره، وأنه لابد كان سعيداً جداً بلاقائي، فقلتُ لها أنه ظن أنني قد حُرقتُ مع المعبد، فقالت إن الجميع يعلم أن المعابد كلها قد احترقت، فأخبرتها أن هذا لم يحصل، وأن المعابد لم تصب بأي أذى، ولم يحصل شيء من هذا القبيل مع أي بيت وأي معبد، وكل شيء على ما يرام.

فرحتُ بذلك، وتعجبتُ أن المسلمين لم يدمروا شيئاً، كانت تلك بداية موفقة، هذه أول مرة أسمع فيها نادية تذكر فيها المسلمين مع وجه سعيد.

بعد الإفطار أحضرتُ نادية مشروباً روحياً لنشرب سوياً، لم يكن من العادة أن نشرب شيئاً كهذا في الصباح بعد الإفطار، ولكنها سكبتُ القليل للضيافة.

اعتذرتُ إليها أنني لا أرغب في الشرب الآن، فعلي أن أقوم ببعض الأعمال، ولكنها ألحتْ علي بشرب القليل للضيافة.

حاولت أن أشكرها وأبتعد عن الأمر بأية وسيلة، ونهضتُ للمغادرة، ولكنها وضعت الكؤوس جانباً وقالت "لقد دخلت في الإسلام أليس كذلك؟"

لم أقل شيئاً، يبدو أنها كانت تشك منذ زمن، وإنما جلبتُ المشروب لتتأكد فحسب، إنها تتجنب النظر إليّ، بعد صمت قصير قلتُ "نعم"

قالت "هل أجبروا الجميع على ذلك؟"

قلتُ "أبداً، للجميع حرية الاختيار"

"وهل كان هذا خيارك؟"

"نعم"

سكتتُ، ولم تنظر إليّ أبداً، فقلتُ "إنني آسف لما جرى بـ..."

ولكنها انفجرت بالبكاء، وقالت "كيف تفعل ذلك؟ لقد قتلوا

والدي أمام الجميع! ألا يعني ذلك لك شيئاً؟"

قلتُ بهدوء "يصعب عليك فهم ذلك"

التفتتُ إليّ تقول "أفهم ماذا؟ لقد مات والدي!"

"لقد حاربهم سنوات طويلاً، وقتل منهم الكثير دون مبرر"

"لقد كان يدافع عن الوطن"

"بل كان يوسع نفوذه وسلطانه بالنار"

"كيف تجرؤ؟"

"أنا آسف جداً لكل ما جرى، إنه والدك، وليس مهماً من يكون

غير ذلك"

"أنا لا أصدق أنك تقول ذلك، لا أصدق أنك نفس الإنسان الذي

كنت أعرف"

"في الحقيقة أنا لست نفس الإنسان، لقد تغير كل شيء"

عاودتُ نادية البكاء، وجلستُ على الأريكة لا تنظر إليّ، فقلتُ
"أردتُ فعلاً أن تخرجي من عزلتك، أردتُ فعلاً أن تعلمي أن أمرك
يعنيني مهما جرى، ولكنني بحاجة إلى فرصة"
أشارتُ نادية بالنفي دون أن تنظر إليّ، فاضطرتُ للمغادرة
وتركتُ الأمور على حالها هنا.



الفصل الحادي والتسعون

قررت أن أستريح ليوم واحد، ونمت في الفندق ولم أقابل أيًا منهما، ولكنني أظن أن هذا كان قراراً خاطئاً.

فقد قامت نادبة بزيارة آدم في منزله بعد أن يئست مما أصبحت عليه، وقد كان آدم سعيداً بزيارتها، وأنها أخيراً قد تخلصت من عزلتها، ولكنها لم تكن سعيدة.

لم يستغرق آدم وقتاً طويلاً حتى شعر بذلك، بل قد شعر أيضاً أن نادبة لطيفة جداً معه، فقال من فوره "لقد علمت بأمر إبراهيم" أشارت بالإيجاب، واقتربت من آدم وقالت "لست أدري ما جرى له، لقد بات غريب الأطوار، ولكنك هنا، ما زلت كما عهدت، على الأقل هناك أناس لا يتغيرون"

لم يدر آدم هل التغيير كانت صفة جيدة يفقدها، ولكنه لم يشعر أنه مديح له، وفوق ذلك لم يشعر بسعادة بتقرب نادبة منه، فقال "لقد قضينا وقتاً طويلاً في المدينة نفسها، وقمتُ بزيارتك مرات عدة، مع ذلك لم تقومي بزيارتي إلا بعد أن تركت إبراهيم"

قالت "ماذا تقصد؟"

فقال "أقصد أنك إذا ما كنت تحبينه فعليك أن تتمسكي به،

وتقنعيه أن يكف عن الهراء الذي يفعل ، وأن تبعديه عن قاده إلى ما هو عليه الآن، لا أن تتخلي عنه، ألم تعجبي به لأنه غير متوقع

”وهل تفعل أنت ذلك؟“

”لن أتركه أبداً، ولكنه الآن يشعر بنشوة التغيير، يصعب

إقناعه بشيء في الوقت الحالي“

”وإلى متى ننتظر؟“

”إلى أن يحين الوقت المناسب، إلى أن يملّ مما يفعل“

اقتنعت نادية بكلام آدم، وتناولت الغداء في منزله، رغم أن آدم كان دائماً يحب نادية، إلا أنه رفض تماماً أن تستبدله بي، وأن تحبه فقط لأنها تتركني، كانت أفكار معقدة تدور في رأسه، أما أنا فلم أدر أن لقاء كهذا ما كان يجب أن أتركه يحدث.



الفصل الثاني والتسعون

ذهبتُ إلى منزل آدم في اليوم التالي، ولستُ أدري ما هي
الاحتمالات التي ما أزال أفكر بها، هل سيستمع إليّ اليوم؟
استقبلني وأدخلني، وقدم لي العصير والحلوى، وسألني من
فوره عن نادية، أخبرته أنها علمتُ بكل شيء، فسألني عن ردة
فعلها، فأخبرته أنها كانت تقريباً مشابهة لردة فعله.
عندها قلتُ "هل تذكر يا آدم مباريات الدوري؟ هل تذكر الأيام
السعيدة التي كنا نعمل فيها بجد لنحصل على ما نريد؟"
"أجل، ليت تلك الأيام تعود"
"هل تذكر ما كنتَ تكتبه لي؟ هل تذكر أنك كتبتَ أنك تثق بي،
ولن تخذلني أبداً"
بقي صامتاً، فقلتُ "أما زلتَ تكتب؟"
بقي صامتاً، قلتُ "أعلم أنه لا يجوز لي أن أسأل عن ذلك، فهو
أمر شخصي"
ولكنه قال "ما أزال أكتب"
"لي؟"
"لن عرفتُ منذ سنين، للرمز الذي وقفتُ بسببه مجدداً"
"نستطيع أن نعود كما كنا"

"ولكن ذلك الرمز لن يعود"

"ستجد أفضل منه"

"لا أريد أفضل منه، أريده هو فقط"

ابتسمت وقلتُ "لا مشكلة، سأسبب لك بعض المشاكل بين الحين

والآخر"

نظر إليّ وعيناه تقولان أنه لا يقصد المزاح على الإطلاق، فقلتُ

"ماذا تريد بالضبط؟"

"أنت تعلم ما أريد"

"لن أترك ما أنا عليه"

"إذن ليس هناك نقاش بيننا"

"هل سترفض لي طلباً؟"

"ما هو؟"

"شهر واحد، اعتبره عطلة صيفية نقضيتها معاً في بلادنا"

"أولاً إنها بلادك أنت، ثانياً لا أريد أن أجلس إلى المسلمين"

"لن يصيبك أي أحد بأذى"

أشار بالنفي، فقلتُ "ثق بي، ولن أطلب إليك شيئاً آخر"

لقد سبق أن قرر أن يثق بي، فهل سيخذلني الآن؟ قلتُ "لقد

حجزتُ طائرة بعد ثلاثة أيام، تستطيع أن تقرر وتحجز متى تشاء"

ثلاثة أيام فقط، هل أستطيع بها تغيير الأمور؟

الفصل الثالث والتسعون

قدم ألين إلى منزل آدم في غيابي ، وطلب إليه أن يتبعه ، وأخذه إلى مركز للشرطة.

تعجب آدم من ذلك ، حيث أنه كان يتجنب التواجد في أماكن كهذه ، ولكنه أدخله إلى حيث يحجز المتهمون ، ووقف أمام زنزانة وقال "هل ترى هذا؟"

نظر آدم في الرجل ، إنه في أواخر الأربعين ، يبدو أنه قد قضى وقتاً في السجن ، قال "ما باله؟"

قال ألين "إنه طبيب"

"ما شأني أنا؟"

أخذ ألين آدم إلى غرفة وحدهما ، وأجلسه على كرسي ثم قال "لقد كان يعمل لصالح والدك"

فهم آدم ما يقصد ألين من فوره ، وتابع ألين قائلاً "إنه من نفذ عمليات استئصال الأعضاء ، وقد أمسكت الشرطة به"

بدأ الدم يغور في رأس آدم ، ولكنه قال "ولماذا تخبرني بذلك؟ لقد كنت بعيداً عن هذه الأمور ، لقد بدأت أنسى الأمر فعلاً"

أشار ألين بالنفي وقال "لن تنساه ، هذا الرجل هنا لياخذ

جزاءه، ما أردتُ أن أقوله لك أنك الآن قادر على قول أي شيء،
والمطالبة بأي شيء، هنا ينتهي الأمر فعلاً”

بقي آدم صامتاً، لم يكن يريد أن يتعرف على الرجل الذي كان
عليه أن يقتله بدلاً من أناس بريئين، ولكن ألين قال أيضاً ”شيء آخر”
”ماذا؟”

”لقد مات والدك”

تجمد آدم، وقال ألين ”لقد مات بفشل كلوي”
قال آدم ”لقد كان يعاني من ذلك منذ زمن، لقد تبرعتُ والدتي
بكلية له في الماضي، أو ربما أخذها منها، ولكنها فشلت”
”كل يأخذ جزاءه”

أشار آدم بالنفي، وقال ”ولكن كليتي لن تعود إلي”
ودون أي كلمة أخرى، استدار وغادر المكان.
حتى القصص لم يكن كافياً، ما الفائدة؟ لقد تأخر الوقت كثيراً.



الفصل الرابع والتسعون

مضى يومان، ولم أتلّق أي رد من آدم، ولم أسمع شيئاً عن نادية، عليّ أن أقوم بجولة سريعة قبل مغادرتي البلاد، يجب أن أراهما.

لم أكن أعلم أن الوقت كان سيئاً جداً بالنسبة لآدم، فما يزال منزعاً مما رأى وسمع وتذكر، جلستُ إليه وقلتُ "لا تبدو على ما يرام"

قال من فوره "لقد مات والدي"

لم أعرف الرد المناسب لخبر كهذا، فأنا أعلم تماماً كم عانى آدم بسبب والده!

تابع قائلاً "وأمسك ألين بالطبيب الذي أجرى العملية الجراحية لكليتي، وهو في الزنزانة الآن"

سألتُ "ماذا سيفعلون به؟"

"طلب إليّ أن أختار ما أشاء، ولكنني لم أستطع" ثم ابتسم قائلاً

"لقد قتلتُ المظلومين، أما الآن فلم أستطع حتى فعل شيء بالجاني"

"أنت تفضل أن تنسى الأمر"

"ظننتُ أنني أستطيع"

صمتنا، فقال آدم "أما زلت مصراً على المغادرة؟"
 "أجل، سأغادر غداً صباحاً"
 لم يعلق، فقلتُ "كنتُ أحب فعلاً أن تحضر معي"
 "ليس لدي ما أفعله هناك"
 "صدقني ستجد حلاً لجميع مشاكلك هناك"
 ابتسم وقال "أنت كنت مذنباً، وقد حصلت على الغفران على ما
 يبدو، أما أنا فلم أفعل ما يستحق كل ذلك"
 "الأمر ليس كذلك، في الإسلام حل لجميع المشاكل أياً كانت"
 "إن فمن سيعيد إليّ كليتي؟"
 "إن الله عادل، إن لم يكن هناك ما يعوضك في هذه الدنيا،
 فسيعوضك في الآخرة"
 ابتسم ابتسامة ساخرة، ثم قال "وهل عليّ أن أنتظر كل هذه
 المدة، وإن لم يحدث ذلك؟"
 "عليك أن تؤمن بعدل الله، الدنيا ليست عادلة، ولكنه لا يخفى
 عليه شيء، وسيعوضك في الآخرة، بل سيكافئك على إيمانك بعدله
 عندما ظلمك الناس"
 "هذه أمانتي"
 "بل هذا إيمان"

”لا أصدق أنك تؤمن فعلاً بشيء كهذا“

”لأنك لم تر ما رأيت، ولم تجرب ما جربت، تعال معي تشاهد

ما تحب“

”قلتُ لك أنني لن أفعل“

كان نقاشنا عقيماً، فنهضتُ وقلتُ ”سأغادر بالطائرة الساعة

السابعة صباحاً، حتى وإن لم تقرر الحضور الآن، فاعلم أن منزلي

حاضر لك متى شئت“



■ الفصل الخامس والتسعون

فكرتُ كثيراً في زيارة نادبة، ولكنني قررت أن أجنبها العناء الأخير، وبقيتُ في الفندق.

في هذه الأثناء قدمتُ إلى منزل آدم، وتحدثا في أمري، ويبدو أن النقاش لم يسر على ما يرام.

قالت نادبة "كيف تتركه يذهب؟"

"وماذا كنتِ تريدين مني أن أفعل؟ إنه مغادر في الطائرة غداً"

"ربما لا نراه ثانية"

"لا أظن ذلك، سيمل من تلك الحياة، ويكتشف أخيراً أننا كنا رفاقه"

"وإن لم يحصل ذلك؟ وإن ظل مهووساً بؤلتك الأشرار؟"

"لا أظن أنه بهذا الغباء"

"لقد طلبتِ إليّ ألا نتخلى عنه! ها أنت تتركه"

"سيعود"

"لن يعود"

"وماذا تريدين أن أفعل؟ أن أمنعه من السفر؟"

"هذا أقل ما تفعل"

"ماذا تقصدين؟"

"أن تمنعه من أي سفر نهائياً"

الفصل السادس والتسعون

حزمتُ أمتعتي وتجهزت للخروج، اتجهتُ إلى المطار دون أن أودع أحداً

وصلتُ المطار ووضعتُ حقيبتي وسرتُ في المعاملات، كان كل شيء على ما يرام إلى أن ركض نحوى ثلاثة مجندين، أمسكوا بي بعنف، وقادوني إلى غرفة منعزلة أمام الناس فوراً كنتُ مقيداً، وبدؤوا يسألونني بصوت مرتفع "أين وضعتها؟" لم أفهم ما يعني "وضعتُ ماذا؟"

حصلتُ على أول لكمة، وقد شعرتُ أنها البداية فقط لسلسلة من التعذيب، فقال "لا تتظاهر بالبراءة، سنفتش حقائبك، يستحسن لك أن تعترف قبل أن نجدها بأنفسنا" "تجدون ماذا؟"

لكمة أخرى، واستمر الأمر كذلك إلى أن علمتُ أنهم يبحثون عن قنبلة كان من المفترض أن أفجر بها الطائرة بعملية انتحارية، لماذا يفكرون هكذا؟

لم يصغوا إليّ، وتأجل إقلاع الطائرة إلى أن فتشت عن آخرها، ولم يكن هناك أي أثر لقنبلة من أي نوع ولكنهم لم يتركوني، أقلتُ الطائرة بسلام، وحُبستُ في زنزانة

ألقى أشد أنواع العذاب، إلى أن وصلت الطائرة بسلام إلى المطار التالي
ولم يتركوني بعد، نمت ثلاث ليال لا أرى فيها الشمس، ولا
أكل فيها إلا فضلات طعامهم، وأتلقى الضرب متى يحلو لهم
ماذا عساي أن أفعل حتى تظهر براءتي؟ الطائرة في أمان، بل
لابد أنها قد أجرت الكثير من الرحلات إلى هذا الوقت!
كلا، إنهم لا ينتظرون براءتي، فأنا مذنب حتى لو كنت بريئاً،
بما أن أحدهم قد خشي مني شيئاً فأنا مذنب ولن تظهر براءتي
في اليوم الرابع دخلوا علي ثانية، فسألتهم "لماذا شككتكم بي دون
غيري؟ ماذا فعلت بالضبط؟"
رغم أن هذا كان سؤالاً كل يوم، إلا أنهم قد قرروا الإجابة عنه
اليوم أخيراً، قالوا "لقد تلقينا اتصالاً هاتفياً"
جفلتُ، من الذي يمزح مزحة كهذه؟ لا يمكن!
لم تعد لدي أسئلة، كل ما لدي كان الشك الذي تحول إلى يقين
يوماً بعد يوم
قرروا إطلاق سراحي في اليوم العاشر، ومُنعت من ركوب أي
طائرة من أي نوع، وحجز على جوازي، وانتهى بي الأمر في الطرقات
في الساعة الثانية من منتصف الليل
لم أشعر بالجوع، لم أشعر بالآلام جراحي، كل ما كان في رأسي أن
أسارع إلى الفاعل

الفصل السابع والتسعون

طرقتُ باب منزل آدم في منتصف الليل، ففتح والده الباب ليرى وجهي ملطخاً بالدماء، وجسدي مليئاً بالكدمات، وثيابي مهترئة من التعذيب.

قلتُ له فوراً "أين آدم؟"

فقال "ماذا حدث؟"

"أيقظ آدم"

كان آدم قد استيقظ عندما سمع طرق الباب، وقدم إلي، وحدّق طويلاً ثم قال "تفضل"

قبل أن أخطو خطوة واحدة قلتُ "هل أنت من فعل ذلك؟"

ربما كانت جملة تعبر عن سؤال بحث، ولكنني كنتُ أكيداً في قرارة نفسي أنه من فعل ذلك، ولم يكن جوابه يعني لي شيئاً، مع ذلك قال "لنتحدث في الداخل"

تركنا لوحدهنا، فجلب آدم إناء مليئاً بالماء، ومندبلاً ليمسح الدماء عن وجهي، وقال "وجهك مليء بالجراح"

لقد كان السبب في ذلك، فقلتُ "ولكنها ستلتئم"

ناولني المندبل، فمسحتُ وجهي، ثم قال "لم أكن أريدك أن تغادر"

فقلتُ منزعجاً "أوهكذا تفعل؟ لقد نلتُ أمرَ أنواع العذاب! لقد
مُنعت من السفر، لقد حجزوا جوازي! لقد دمّرت حياتي"
"ستفهم يوماً أنني فعلتُ الصواب"
"عن أي صواب تتحدث؟ انظر ماذا حلَّ بي!"
"هذا أفضل من أن تعود إليهم"
"كم مرة عليّ أن أقول أنهم ليسوا كما تتصور! إن المسلمين أناس
رائعون، ودينهم أروع ما سمعت ورأيت في حياتي"
"وكيف تنسى أنهم قتلوا والد نادية؟"
صرختُ أقول "لقد كان يأمرني بقتل الأطفال! لقد أصبتُ بالأرق
مدة ثلاث سنوات بسببه!"
تنهد، فقلتُ "هل تعلم نادية ما حلَّ بي؟"
"أجل، وهي سعيدة أنك لم تغادر"
"لقد خرجتما عن نطاق المعقول! لا أصدق أنكما تفعلان ذلك"
"نريدك أن تكون إلى جانبنا"
"ولماذا لا تكونان إلى جانبي؟ لقد حضرتُ إلى هنا من أجلكما
فقط!"
"ونحن نفعل ذلك من أجلك"
"أبدًا، ليس هذا من مصلحتي على الإطلاق"

”هنا يكمن خلافتنا“

نهضتُ لأعادر، وقلتُ ”يبدو أنني مضطر للبقاء هنا بعض الوقت، كنتُ فعلاً أتمنى ظروفًا غير هذه“
غادرتُ، بينما بدأتُ أضرأس آدم توله.



الفصل الثامن والتسعون

بقيتُ في هذه البلاد آسفاً مضطراً، وبدأتُ أشعر بالضييق، لا أريد أن أظل هنا، أريد أن أعود إلى بلادي بأي شكل !
لم أعد أريد أن أرى أحداً، أفضل الاعتزال، ولكن نقودي أوشكت على الانتهاء، ولست أملك عملاً يدر عليّ حتى المال القليل، ولست بمزاج أو بمظهر يسمح لي بالعمل.

كل أضلاعي تؤلّمني، وجهي مليء بالكدمات، تمددت في غرفتي أشعر بالتعب الشديد والكآبة، ومر يومان على هذا الحال.
لم أعد أستطيع البقاء في الغرفة، لا أستطيع دفع الإجار التالي، حزمتُ أمتعتي ونزلت إلى الطرقات أجهل تماماً الوجهة التي سأوجهها.
كان علي أن أقرر، هل سأذهب إلى آدم أم إلى نادية؟ لقد جربتُ حظي مع آدم، وكان مصراً على ردعي، بل بعد كل ما جرى معي في المطار كان من الصعب أن أراه ثانية.

ونادية كانت تبكي في آخر لقاء لنا، إنها حزينة على والدها.
ولكنني أخيراً قررت أن أجرب حظي مع نادية، واتجهتُ إليها أتساءل كيف ستكون ردة فعلها عندما ترى الآثار على وجهي، ولكن ما لم أكن أحسب حساباً أنها وآدم على اتصال دائم.

فتحتُ لي الباب ولم تعلق، أدخلتني تنظر إلى الحقيبة على
ظهري، فقلتُ "لم يعد لدي النقود الكافية للأجرة"

قالت "لا عليك"

جلستُ على الأريكة، ونظرتُ إليها وسألتها "هل علمت ما فعل

آدم بي؟"

"نعم"

"وما رأيك في ذلك يا ترى؟"

"إنه يحاول مساعدتك"

بدأ الدم يفور في رأسي، ولكنني تماكنت نفسي، فقالتُ "أما

زلتَ مصراً على ما جنّت من أجله"

"أنت تعلمين تماماً أنكما أعز من أعرف في هذه الدنيا، ولكنني

بدأتُ أشعر بالندم بقدومي هنا"

"ألا يرضيك أن تعيش بيننا؟"

"أحب أن نعيش جميعنا في مكان جميل، وأنتم لا تفهمان ذلك"

"جوار القتلة ليس مكاناً جميلاً"

عدنا من حيث بدأنا، لا أظنها ستتخطى يوماً مرحلة الحقد على

من قتل والدها، رغم أن السبب كان بيناً ومهماً، قلتُ "الزم كفيل أن

يجعلك تفهمين"

”أفهم تماماً أن والدي قد مات، وليست هناك حقائق أخرى”
رغم محاولاتي بتجنب النقاش في هذا الموضوع إلا أنها ما تزال
تتحدث عنه في كل لحظة، قلتُ ”إذا ما كنت تظنين أنني سأترك ما أنا
عليه بسبب وفاة والدك فأنت مخطئة”
انزعجتُ نادية كثيراً بما قلتُ، وقالت ”ألهذه الدرجة لا يعينك
موته شيئاً؟ ألهذه الدرجة لم أعد مهمة بالنسبة لك؟”
”أنت مهمة بالنسبة لي، لذلك أنا هنا، أما هو، فلو كنتُ أعلم
فيه حقاً للحياة لكنك دافعتُ عنه لحظتها”
”ألهذا الحد تكره والدي!”
”لقد عانيتُ كثيراً بسبب ما اقترفتُ في الحرب، وكل ذلك كان
تنفيذاً لأوامره”
”تفعل ذلك من أجل الوطن”
”لو كنتُ أعلم أن الوطن سيصبح على ما هو عليه الآن إذا ما
تركته للمسلمين، لكنك تركته لهم من البداية”
وضعتُ نادية يدها على رأسها، يبدو أنها قد فقدت كل رجاء
بي، فقالت آخر ما تقول لي ”إذا ما وقف والدي أمامك الآن، هل كنتُ
ستعذر إليه؟”
ولكنني أجبت بصراحة تامة ”لا”

هكذا بتّ مشتركاً بالجريمة بالنسبة لنادية، وكأنها ترى قاتل والدها أمام عينها، نهضت وحامت في أرجاء الغرفة تفكر أمامي، لا أظن أن أي فكرة ستكون حسنة بعد هذا الحديث، ولكنها أخيراً ابتسمت وقالت "لا بأس، بما أنني لا أملك خياراً لإعادة والدي إلى الحياة، أجد نفسي مضطرة للصبر"

كان هذا كل ما قالت، ولكن الحقيقة أنني أشعر بحقد كبير يغلي في صدرها، ولست أدري الدواء المناسب.

قالت "اعذرني على سوء ضيافتي، لم أقدم لك شيئاً تشربه"
قلتُ "لا بأس، لا تتعبي نفسك"

"هذا لا يجوز، فمهما حدث هناك أصول تعلمناها منذ الصغر، علّمها لي والدي عندما كان على قيد الحياة"

لم أستطع أن أعلق على أي مما قالت، عليّ أن أتركها تهدأ وحدها، أتمنى أن يكون الأمر بهذه البساطة.

غابت نادية دقائق قليلة، وجلبت عصيراً مثلجاً يبدو شهياً، وبصراحة كانت نقودي قد نفدت، ولم أعد أتناول شيئاً شهياً كهذا.

قدمت لي العصير وقالت "تفضل، صحة وعافية"

شربتُ رشفة من العصير، فلاحظتُ يد نادية ترجف، فعلمتُ فوراً ما جرى، وضعتُ العصير على الطاولة وقلتُ بهدوء "إنه مسموم أليس كذلك؟ أنت ترجفين بشدة"

ولكنها قالت "لقد علمني والدي الكثير"

ابتسمتُ وقلتُ "يبدو ذلك، ولكنه أشهى عصير صنعتَه لي"

شعور غريب ارتابني، هدوء، راحة، طمأنينة، لم أكن أعرف

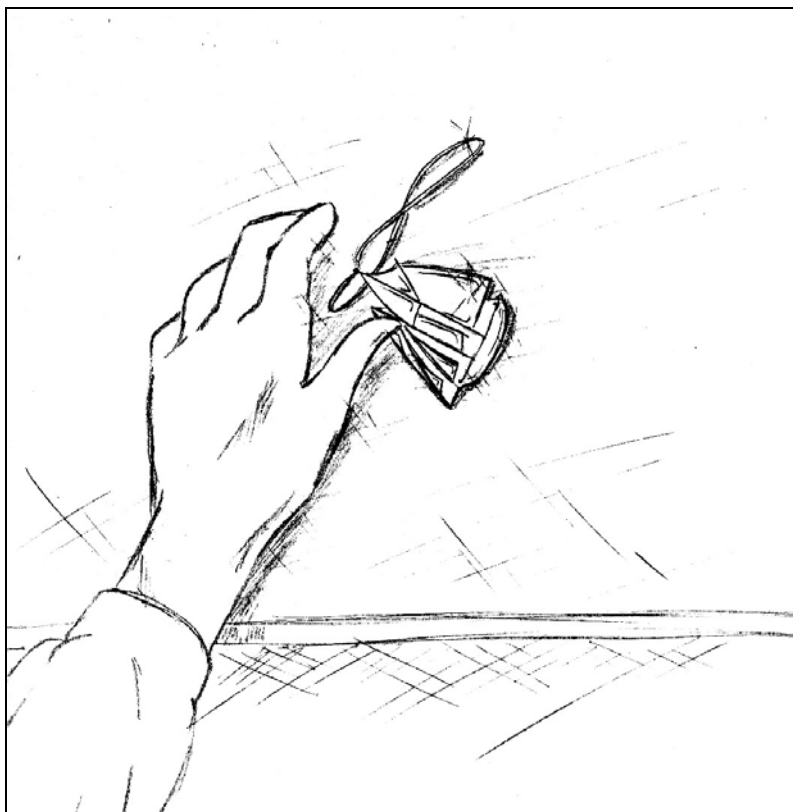
ماذا سأفعل في الأيام القادمة بعيداً عن إخواني المسلمين، ولكنني لم

أكن مضطراً إلى التفكير أكثر، لقد تعبت ويبدو أن الطريق بات مليئاً

بالمشاكل، ولكن الله يحبني، إنه يرحمني.

ثم وضعتُ يدي في جيبِي، وأخرجتُ القلادة ذاتها، قلادة

القارب، ووضعتها على الطاولة وقلتُ "قدميها لآدم"



الجزء الثالث

على لسان آدم

الفصل التاسع والتسعون

كنتُ جالساً في حديقة المنزل عندما اتصلتُ بي نادية تقول
بصوت يهتز خوفاً "آدم... أريدك أن تحضر إلى منزلي الآن"
علمتُ أن الأمر مهم وضروري، خرجتُ من فوري واتجهتُ إلى
منزل نادية أشعر بقلق شديد، ولكنني توقعتُ كل شيء إلا ما رأيت.
كنتُ جالساً على الكرسي مغشياً عليك، وقد سقط من يدك كوب
عصير سكب على الأرض، ونادية تقف تنظر إليّ بقلق شديد.
سألتها عما جرى هنا، ولكنها لم تستطع أن تجيب، فاقتربتُ
منك، وأمسكتُ بك أحاول إيقاظك، ولكن دون فائدة! نظرتُ إلى نادية
وسألتها بجدية كبيرة "ماذا فعلت؟"
قالت ترجف "لن يغادر بعد اليوم"
قلتُ "ماذا فعلت؟"



ابتلعت ريقها وقالت "لقد وضعت السم في العصير"
لم أصدق ما أسمع! دفعْتُك بقوة أحاول إيقاظك، ولكن لا جدوى،
فنظرتُ إلى نادبة أقول "هل جننتِ؟"
بدأتُ نادبة تبكي وتقول "لقد ساهم في قتل والدي، لقد تغير،
لقد..."

"أوتقتلينه؟!!"
عندها قالت بصوت خافت "اخفض صوتك! علينا أن ندفنه في
الحديقة قبل أن تحضر والدتي"
"ماذا؟"

"ليس لدينا خيار آخر، لا أحد يعرف أنه هنا سوانا، ندفنه في
الحديقة الآن"

لستُ أدري ما أفعل، لستُ أدري ما أشعر، لم أتوقع يوماً أن
أقف هذا الموقف، لقد أخطأتُ في حقك، لقد أخطأتُ كثيراً، لبيتك
غادرتَ بسلام!

أشعر بصداع، أشعر أن الدم سيتفجر في رأسي، وبدأ ضرسني
يؤلني، ماذا عساي أن أفعل؟ وهل هناك تصرف سليم في موقف كهذا؟
كل ما كنتُ متيقناً منه أنك كنتَ بارداً بين يدي، وأنتك لن تعود
إلى الحياة مهما فعلتُ، وأن الاعتذار والندم باتا متأخرين جداً.

وأن نادية لم تكن سعيدة بما فعلت، والخوف باد عليها، أتمنى
فعلاً أن تشعر بالندم كما أشعر به أنا.

حملتك إلى الحديقة، وأرشدتني نادية إلى زاوية في الحديقة
مناسبة للحفر دون أن ينتبه إليها أحد.

وضعتك جانباً وبدأت أحفر، حفرت كثيراً حتى أصبح العمق
مناسباً، وشاركت في جريمة لست أدري إذا ما كنت المتضرر منها أم
نحن، لقد أسأنا إليك كثيراً، لقد حزننا كثيراً، والآن أنت في مكان
آخر، إنك في راحة أبدية.

كان عليّ أن أستمع إليك أكثر، على الأقل لم يكن يتوجب عليّ
ردعك عن السفر، فربما سنحت لنا الفرصة في لقاء آخر! كيف أفكر؟
كيف قمت بكل ذلك؟ إلى أي درجة كنت أعمى؟

حملتك ووضعتك في الحفرة، وما عدت أدري كيف طاوعتني
يدي في دفن وجهك تحت التراب، لتكون آخر لحظات الوداع، روح
كان هي الحياة بالنسبة لي، وقد قتلتها.



الفصل المئة

عدتُ إلى المنزل أتخبط هنا وهناك، أشعر بدوار وألم وغثيان،
كان أسوأ ما مررتُ به في حياتي كلها.

وضعتُ رأسي على الفراش، أسناني تؤلمني، يكاد رأسي ينفجر.
ساعة، ساعتان، ثلاث ساعات بل أربعة، لم أستطع النوم، ولم
يتوقف الألم رغم كل المسكنات التي ابتلعتها.

نهضتُ من الفراش، وغادرتُ المنزل إلى أقرب مشفى، وطلبتُ
إليهم أن يخلعوا أضراس العقل لدي في الحال.
رغم كل المحاولات لإقناعي بأخذ حقنة مهدئة إلى الصباح،
ولكنني أصرتُ على أن يحضر الطبيب في الحال.

حضر الطبيب بعد ساعة من انتظاري في الطوارئ، وبدأ يتفحص
أسناني، ليس فيها أي مكروه! ولكنني أصرتُ أن يخلع أضراس
العقل، وقد كان لدي اثنان، على الرغم من تأكده أنهما سليمان تماماً
إلا أنه شعر أنني مصاب بمرض نفسي ما، وطاوعني.

خلعتُ أول ضرس، فسمعتُك تردد "أظن أنني مثلها..." ثم
الثاني، وزال الألم.

الفصل المئة وواحد

عدتُ إلى المنزل وقد هدا الألم بشكل عجيب، ونمتُ ما إن وضعت رأسي على الوسادة.

رغم الكوابيس التي حلمتُ بها إلا أنني نمت، نمتُ ثلاث ساعات أسمع فيها صوتك يردد "أظن أنني مثلها... أظن أنني مثلها..."

استيقظتُ في الصباح أتمنى أن يكون البارحة جزءاً من كابوس مزعج، ولكنه لم يكن، بل كانت حياتي قد تحولت إلى كابوس، كابوس لن أصحو منه مهما فعلت.

الغريب أن الجميع استيقظوا كأني يوم عادي، "صباح الخير" كانت أول ما قالاه لي في الصباح، لا يعلمان أي إنسان يستقبلان في المنزل، بل لا يعلمان أن الخيال يختلف عن الواقع.

لطالما عاشا وهماً على شكل صبي يعيش بينهما، ولكن أحداً لا يدري كيف تسيّر الأحداث، لا أظن أنهما سيتمنيان صبياً فعل ما فعلتُ البارحة.

فطور وروتين عجيب، لا أستطيع التظاهر أن شيئاً لم يحدث، وأنتك بتّ تحت التراب، لماذا أنت من بين الجميع؟

نظرتُ إلي وقالت "آدم! لم وجهك متورم هكذا؟"

أجبتها "لقد خلعتُ أضراس العقل البارحة"

قال "احذر أن تكون قد التهبت"

إنها مؤلمة ولكنني لا أظن أنها ملتهبة، فألمها لا يقارن بما كانت عليه.

في منتصف اليوم بدأ الألم يشتد، وبات التورم واضحاً في وجنتي.

ذهبتُ إلى الطبيب، فأعطاني دواء، وعدتُ إلى المنزل.

داومتُ على الدواء ولكن دون فائدة، يبدو أن قيحاً قد تجمع تحت أسناني! انشغلتُ بألم الأسنان، ولم أقابل أو أتحدث إلى أحد، ولا أعلم ما تفعل نادية، كما لم أعد أستطيع التفكير بأي شيء معين! بتُ في دوامة غريبة من الآلام والندم.

عدتُ إلى الطبيب فأشار إلي بعملية جراحية أزيل فيها القيح المتجمع.

لم يكن لدي خيار آخر، فوافقتُ على العملية، ولكن خلال الفحص الروتيني للعمليات أخبرتهم أنني أملك كلية واحدة، فأجروا فحصاً لوظائف الكلى على الفور.

ياللهول! كانت نتيجة الفحص سيئة للغاية، لقد تأثرتُ كليتي الوحيدة بالالتهاب بشكل ملحوظ.

على إثر ذلك دخلتُ المشفى، ونمتُ فيه لأيام أجري لي فيها
عدة فحوصات، وكلها تدل على تدهور ملحوظ في وظائف الكلى.
أيام مضت على العلاج والنوم في المشفى، كنا قلقين علي كثيراً،
ولكنني أعلم تماماً أن شخصاً مثلي لا يستحق العناء، وأن الموت نتيجة
طبيعية لما فعلت.

قدم ألين يطمئن على صحتي، وقام بتغطية مادية شاملة لكل
الفحوصات والعلاج، ولم نتحدث عنك أبداً.

كانت الأدوية عنيفة، وبدأ جسدي يضعف كثيراً، لم أعد أقوى
على الحراك، ولم أكن في وضع نفسي يساعدني على المقاومة.

استسلمتُ للمرض، إنه جزاء عادل بكل تأكيد، ولم أتذمر، ولم
أناقش، كنتُ فقط أخضع لعلاج أعلم أنه لن يفيدني، فقد كنتُ على
يقين أن مرضي كان سبب خطيئتي، وأن الله يعاقبني على ما فعلتُ بكل
وضوح.

ها أنا ذا، لستُ فقط أملك كلية واحدة، بل ضعيفة أيضاً، وبتّ
أحتاج إلى غسيل كلوي.

لطالما خشيتُ أن أصل إلى هذه المرحلة من قبل، ولكن الآن بات
كل شيء مختلفاً، كنتُ أعلم يقيناً أن الأسوأ سيحصل، لأنني أستحقه.
بدأ الجميع يفكرون بزراعة كلية لي، لماذا يطاردني هذا الأمر

مهما حاولتُ الابتعاد عنه! لا أريد، لا أريد أي قطعة غريبة في جسدي، لا أريد أن آخذ شيئاً من أحد، لا أبالي إذا ما متّ، اتركوني فحسب.

لم يستمع أحدهم إليّ، وأجريت فحوصات كثيرة لكليهما، إلى أن توصلنا إلى أن العملية لن تكون ناجحة بقدر كبير، أين نجد متبرعاً، ولماذا يتبرع لشخص مثلي؟

لربما إذا ما كنتَ هنا لكنتَ المتبرع الوحيد، أنا فعلاً أستحق كل ما يحصل لي.

لا أريد أن آخذ كلية مقابل النقود، هذا لا يجوز، ولا تفكروا به أرجوكم.

داومتُ على الغسيل ثلاث مرات في الأسبوع، ولكن وضعي كان سيئاً، فقد كان التهاب الكلية كبيراً اضطرتُ فيه لإجراء عملية أستأصل فيها الكلية من جسدي.

لا فائدة، لقد التهاب جرح العملية، رغم أن الجميع متعجبون لكل ما يحصل لي، إلا أنني الوحيد الذي كان يعلم يقيناً أن شيئاً لن يساعدني على النجاة.

إنها عقوبة أستحقها، ولن أجادل في ذلك، لم أتذمر ولم أشتك، أنا على دراية بكل ما يجري.

■ الفصل المئة واثنان

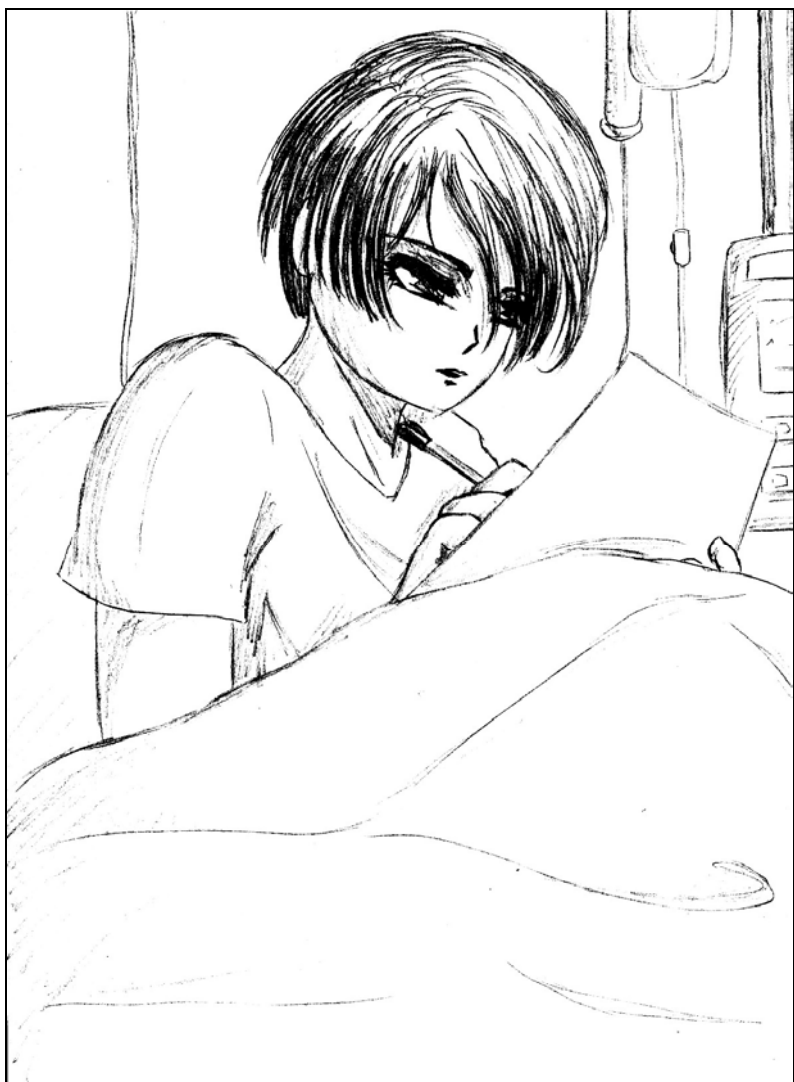
بقيتُ في العناية المركزة فترة أسبوعين، وبما أن الزيارة كانت قصيرة هناك، بقيتُ وحدي معظم الوقت.

كل من يجلس حولي كان يبلغ السبعين والثمانين من العمر، كلهم في حالة سيئة، وكان في الغرفة طاقم من التمريض، يعتني كل واحد منهم بسرير.

لمحتُ أحدهم يكتب، فشعرتُ بدافع كبير في نفسي للكتابة، طلبتُ إليه أن يناولني ورقة وقلمًا، وشعرتُ أنني قد وجدتُ ما أبحث عنه، أريد أن أكتب.

إلى من لن ألتقيه بعد أبدًا،

أريد أن أتحدث إليك، أتلُف لأن أعتذر إليك، لربما كان القلم هو الأسلوب الوحيد، أتمنى فعلاً أن يصلك كلامي، وأن تقبل اعتذاري. لقد عانيت من مرض شديد يدعى الخيانة، وقد دفعتُ ثمنه القليل من الآلام العضوية، والكثير من الآلام النفسية.



لا أستطيع أن أسامح نفسي، لقد خسرتُ أفضل ما أملك، وقد كانت بداية سلسلة من الخسارات التي لن تنتهي.

أه... لم أكتب منذ زمن، يؤسفني أنني أكتب رسالة ندم، ليتني جعلتك تقرأ ما كنتُ أكتب، ليتني كنتُ صريحاً أكثر، ليتني كنتُ متفهماً أكثر، ولكن ما الفائدة، لقد فات الأوان.

لقد كنتُ الأفضل، لقد كنتُ الصديق، الأخ، القريب، لقد كنتُ كل شيء، ولحققتني عندما تركتك، ولم تتخل عني أنا الذي عاهدتُ نفسي أن أثق بك.

ليت الزمن يعود، ليت الندم ينفع، ليتنا قادرون على معرفة المستقبل، كم نحن ضعفاء، كم نخطئ في حق أنفسنا، أين الحل؟

لقد سبق أن أخبرتني أن هناك حلاً لكل المشاكل، لقد سبق أن أخبرتني أن هناك حلاً لمشاكلي، ولكنها الآن تتضاعف، هل ما يزال هناك حل؟

إذا ما كان هناك عزاء لي، فعزائي أنك سعيد، لقد حللتَ مشكلتك، لقد فعلتَ كل ما في وسعك، لم تبدد يوماً في حياتك، لقد كنتَ وفيّاً، وعايشتُ في وجهك راحة وطمأنينة لم أعهدا من قبل، لقد وجدتها في الإسلام الذي اعتنقتَ، هذا الدين الذي عاندتك فيه.

أتمنى الآن لو أنني أملك الخيار في جلسة واحدة إليك، أن

أستمع إلى ما كنتَ تريد أن تقول، وأعلم أنه الكثير، وأعلم أن فيه
سعادتي ومصلحتي، ولكنني كنتُ أعمى، كنتُ عنيداً، كنتُ جاحداً.
إن جسدي يغلي، ولم تعد الأدوية تكفي، وبت أعلم يقيناً أنني
لن أستمر في الحياة طويلاً، ليس هناك وقت لفعل أي شيء، لقد
خسرتُ كل شيء، وانتهى كل شيء.
أتمنى أن يصلك اعتذاري الشديد عما بدر مني، آه لو أعلم وسيلة
تجمعنا معاً من جديد، لكنك دفعت الأرض والسماء مقابلها.



الفصل المئة وثلاثة

فتحتُ عيني، فإذا بي قد استغرقتُ في نوم طويل، والورق إلى جانبي، لا أذكر أنني من وضعه هناك، ربما كان ممرضاً، أو ربما قام أحدهم بزيارتي، بل ربما نمتُ لبضعة أيام، لا أدري، ولكنني متعب، جسدي لم يعد يقوى على الحراك.

اقترب الممرض مني، وجلس إلى جانبي يقول "صباح الخير، هل تسمعي؟"

قلتُ "صباح الخير"

ابتسم وقال "أنت أفضل حالاً اليوم، حمداً لله"

نظرتُ إلى الورق وأشرتُ إليه كي أتابع الكتابة، ناولني الأوراق ثم قال "هناك شيء لك، بعثه أحدهم"

أخرج الممرض قلادتك من جيبه، لم أصدق ذلك، لم أرها منذ زمن! أمسكتُها وبدأتُ أبكي، ضممتها إلى صدري وبكيت بحرارة، فقال الممرض "آسف، ظننتُ أنها ذكرى جميلة"

أشرتُ بالنفي وقلتُ "إنها ذكرى جميلة، المشكلة أنها ذكرى"

فابتسم وقال "هل تعلم، غالباً ما نفسد الذكريات السعيدة

بالتركيز على زوالها، لم لا نفرح بأيام كانت جميلة"

”لأنني لم أغتنم الفرصة جيداً“

”بل فعلتَ، فقد كنتَ سعيداً حينها“

”ولكنها ضاعت“

”السعادة فيها لا تضيع“

أشرتُ بالنفي وقلتُ ”يصعب عليك فهم ذلك“

ولكن الممرض قال ”هل تحب أن تلتقيه ثانية؟“

تعجبتُ لما يقول، فقال ”صديقك، أردتُ أن تعرف الوسيلة التي

تلتقي به فيها“

علمتُ أنه قرأ رسالتي، ولكن ما يقول كان مهماً جداً بالنسبة

لي، قلتُ ”هل هناك وسيلة؟“

أجاب ”وسيلة مضمونة“ ثم أخرج كتاباً من الدرج أراه لأول

مرة، فيه زخرفات غريبة مميزة، فتح صفحة فيه وقرأ لي:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾﴾

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ

فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ الحجر.

تعجبتُ مما أسمع، لم أسمع بشيء مثل هذا من قبل في حياتي،

فسألته ”ما هذا الكتاب؟“

أجاب ”إنه القرآن الكريم، كلام الله، الله الذي يعبيده المسلمون“

شعرتُ ببرودة تسير في عروقي ، قلتُ "كل المسلمين يقرؤون

هذا؟"

أجاب "أجل ، هذا كتابهم المقدس ، ودستور حياتهم ، فيه كل

شيء يحتاجون إليه"

"كل شيء! "

"ألم تجد فيه ما تحتاج؟"

شعرتُ أنني وجدتُ ضالتي ، بل علمتُ أن هذا ما وجدتُ من

قبلي ، طلبتُ إليه أن يناولني الكتاب ، فقال "بكل سرور ، ولكن

ساعدني أولاً على أن تغتسل ، فهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون"

لم يكن لدي أي مانع ، بل كان شعوراً عظيماً أن أتجهز للإمسك

بكتاب ، إنه فعلاً مقدس.

قام الممرض بغسل يدي ووجهي ثم قدمي ، وأعطاني القرآن أتصفحه.

فتحتُ أول صفحة وقرأتُ:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ ﴾

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ٥ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧ ﴾ الفاتحة.

رحمن رحيم، رب العالمين، مالك يوم الدين، نعبد ونستعين،
هذه صفات مميزة لا تكون إلا لإله!

فتحت صفحة بشكل عشوائي، فقرأت:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا
ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ
اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ
خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ
الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧﴾ ﴾ إبراهيم.

ثم تصفحت مرة ثانية لأقرأ:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ
وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ يُرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۖ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٢﴾ ﴾ النساء.

علمت أنني أقرأ كتاباً مميزاً، بل مقدساً بالفعل، ما إن فتحت
صفحة حتى وجدت فيها الكثير!

استغرقتُ في القراءة، وبات قراءة القرآن كل ما أفعل، بين دواء ودواء، بين غسيل وغسيل، كان القرآن بين يدي، لم أكن لأهدر ثانية واحدة دون القراءة.

لم أتوقف عن القراءة إلا عندما غلب عليّ النوم والتعب، نمت ممسكاً به، واستيقظت ممسكاً به، لا يزورني زائر، ولا أتحدث إلى أحد، فقط أنا والقرآن.

ربما كان وجودي في وحدة العناية يبعث على الوحدة، ولكن رفيقي الجديد جعلني أشعر أن وجودي هنا كان مهماً، وانعزالي عمن حولي كان أمراً أحتاج إليه الآن.

قرأتُ وقرأتُ، قرأتُ الكثير ولم أكن آبه بكل الفحوصات التي تبين أن وضعي بات يتدهور كثيراً، والالتهاب بات منتشرًا جدًا، ولم أعد أقوى على البقاء مستيقظاً مدة طويلة، وبات النوم يغلب عليّ، والحرارة باتت مرتفعة رغم كل العلاجات.

قدم الممرض إليّ، وسألني عما قرأتُ، فشكرته كثيراً، وأخبرته أنني أقرأ ذلك لأول مرة، وهو كتاب عظيم، فسألني عن صديقي، فأخبرته الحكاية مختصرة، وكيف أسلم وأراد لي أن أستمع إلى الإسلام فلم أفعل.

أخيراً قال لي أن الله يحب المتحابين في الله، أي الأصدقاء

الأوفياء الأخيار، وأنه يمنحهم الصحبة الأبدية في الجنة في منزلة رفيعة، وبما أن إبراهيم قد سبقني إلى الجنان، فمن الحكمة أن أصحبه.

لم أتردد في ذلك، فكنتُ على يقين أنه لم يتبق الكثير من الوقت، أخبرته فوراً أنني أريد أن أكون مسلماً، وأريد أن أكون جزءاً من هذا الدين، وأريد أن أدخل الجنان، وأن ألتقي بك لنسعد سوياً.

فرح الممرض بي كثيراً، وأطلعني على سر الجنان، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فنطقتها، وعلمني أن أصلي ركعتين من على فراشي، وشعرتُ بالكثير قد أزيل عن صدري، كل الهموم تلاشت، وكل الأحزان انتهت، لم يعد هناك سوى الله في حياتي.

طلبتُ إلى الممرض ورقة وقلماً، يجب أن أكتب، فأعطاني إياها وبدأت الكتابة.

إلى من أرجو لقاءه في عليين،

إلى أخي العزيز إبراهيم، لقد نجوتُ، لقد حللتُ مشاكلتي ولم يعد لدي ما أخشى، لم أتخيل يوماً أن استقبل الموت سيكون بهذه البساطة.

إنني على يقين أنك سعيد، رغم كل ما فعلنا فإننا في النهاية أرسلناك إلى الجنان، أرجو من الله أن يجمعنا معاً، لأراك ثانية،

أعانقك ثانية، وأعتذر إليك عن جهل عشتُ فيه مدة كانت أطول منك،
وأعتذر إليك أن ثقتي بك قد اهتزت قليلاً في فترة كان علي فعلاً أن
أصمد فيها، ولكنني الآن لا أشك أبداً، وأثق بك إلى أبعد الحدود.

إنني ألتقط آخر أنفاسي، من العجيب أن يكون مرضي وعذابي
هو سبب خلاصي، وأنني لم أكن لأتعلم الحقائق إن لم أحضر إلى هنا،
إن لم أعاين الموت الأكيد، فعلاً لا يعلم الإنسان أين هو الخير في
حياته، ولم أعد أعلم أيضاً إذا ما كان مرضي هو عقاب لي على ما
فعلت، أم أنه استدراج لي بحب الله لعباده.

أنا الآن أومن أن الله ابتلاني بالمرض ليكفر عني ما فعلتُ في
الدنيا، فأصل إليه وقد فرغتُ من الذنوب، كما أنني أفهم الآن أن
أضراس المتاعب هي ذاتها أضراس الحكمة.

الحمد لله.



الجزء الرابع

على لسان نادية

الفصل المئة وأربعة

اعتزلتُ منزلي، وكنتُ أنظر من شرفتي إلى الحديقة، كانت الحديقة مقفرة دون أزهار وثمار، ولكن بعد ذلك اليوم، وبعد أن باتت الزاوية في الحديقة تغطي أعلى من أملك، باتت الحديقة مليئة بالثمار النضرة والأزهار الفتانة!

رغم أن المنظر كان جميلاً، وكانت أُمي سعيدة ومعجبة به جداً، إلا أنني كنتُ أشعر بالذنب والندم كلما نظرتُ إليه، إنه منظر خانق، حاولتُ أن أقتلع بعض الأزهار ولكنني لم أستطع! فتحتُ درج مكتبي، وأخرجتُ منه قلادة إبراهيم، لقد طلب إليّ أن أعطيها لآدم، ربما أستطيع فعل ذلك على الأقل.

خرجتُ من المنزل بعد عزلتي الطويلة، ولم أكن قد سمعتُ شيئاً من آدم، لم يكن هناك ما نتحدث فيه أبداً، أظن أنني لن أستطيع أن أقول شيئاً الآن، فقط أريد أن أعطيه القلادة وأغادر.



وصلتُ المنزل وطرقتُ الباب، لا مجيب!
فضلتُ أن أعود إلى المنزل في هذه الحالة، فلم أكن قادرة على
الاتصال به هاتفياً، لم يكن ذلك مناسباً على الإطلاق.
قررتُ أن أعاود الزيارة في اليوم التالي، ولكنني عندما ذهبتُ لم
يكن هناك أحد في المنزل أيضاً، فبدأ الشك ينتابني، هل غادر البلاد؟
قررتُ أن أسأل الجيران، فأخبروني أن آدم في المشفى، وأنه في
حالة خطرة في العناية المركزة، تفاجأتُ لذلك كثيراً، لا بد أنني السبب
في ذلك أيضاً، لا بد أن صحته تدهورت بعد ذلك الحادث!
هرعتُ إلى المشفى، ووصلتُ إلى ممر لم يسمح لي الدخول فيه،
ربما كان ذلك أفضل من لقائه في حالة سيئة.
وجدتُ والدته تبكي على كراسي الانتظار، ووالده شارد الذهن،
لم أفكر حتى بالاقتراب منهما، كل ما فعلته أنني طلبتُ إلى الممرض أن
يوصل القلادة إلى آدم بأي وسيلة، فهي تهمة جداً.



الفصل المئة وخمسة

مضت بضعة أيام على ذلك، وعدتُ إلى المشفى لأعود آدم، ولكن كل شيء كان قد انتهى! لقد أعلنتُ وفاته، وبدأ التحضير لنقله ودفنه. لا أصدق أنني بقيتُ وحيدة، لماذا يحدث كل هذا؟ سمعتُ بعض الحديث عن مكان الدفن، من العجيب أن أسمع أن أحدهم يجادل في دفن آدم في مقبرة للمسلمين! وكلما استمعتُ أكثر أيقنتُ أن آدم قد اتبع طريق إبراهيم، وأنهما الآن سوياً. قرأنا الرسالة الأخيرة، ووافق والداه على دفنه إلى جانب المسلمين، واحترموا رغبته وقراره، لقد كانا أهدأ مما تصورت، لقد تقبلا الأمر بكل بساطة! لماذا لم أكن مثلهما؟ لماذا تسرعت؟ طلبتُ إلى الممرض أن يبقي القلادة في يده، فهي مهمة جداً بالنسبة له، وغادرتُ المشفى.



الفصل المئة وستة

وقفتُ في حديقة منزلي، لقد تحقق ما أريد، لقد هُزمت، لم أستطع ردعهما عما يفعلان، كما لم يقبلا التفرقة في أسوأ الظروف. لم أعد أريد منهما شيئاً، أريد أن أنهي هذا الصراع، ماذا عساي أن أفعل؟

اليوم يوم الدفن، اتجهتُ إلى المقبرة ولم يكن هناك تجمع كبير من الناس، والداه وبعض الجيران والممرض، نظرتُ في وجه آدم الذي كان مرتاحاً وسعيداً! أنزلوه الأرض كما أنزلنا إبراهيم، وكانت القلادة في صدره، وقبل أن يغطوه بالتراب طلبتُ إليهم التوقف.

رويتُ الحكاية والجميع يحدق بي لا يصدق ما يسمع، جثة إبراهيم في حديقة منزلي، وقد اعترفتُ بما فعلتُ مباشرة، ولكن رجائي كان أن ينقلوا إبراهيم إلى قبر آدم ليدفنا سوياً.

ذهب صاحب المقبرة والممرض معي إلى منزلي، وفقدتُ والدتي وعيها عندما وصلنا بالحفر إلى الجثة، التي كانت ما تزال على حالها وكأنه مات بالأمس.

قاما بنقله، ووضعاه إلى جانب آدم، وشبكا أيديهما معاً والقلادة بينهما، كما وضع والداه رسائله إلى إبراهيم معهما، وكان وجههما

مشرقاً بالسعادة، وقُرئ القرآن عليهما، ثم دفنا معاً ليظلا مترافقين إلى الأبد.

ووضعتُ السلاسل حول يدي، وسُحبتُ إلى السجن أودعهما، وأتمنى لهما الخير والسعادة.



تم بحمد الله